# جنة الأكاذيب

رواية : جنة الأكاذيب
المؤلف : خالد الشيباني
الناشر : ببلومانيا للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى : ٢٠٢٠
ISBN 978 -977-6754-92-8
رقم الإيداع : ١٦٨٦/ ٢٠٢٠
ديوى : ٨١٣
١٧٦ ص ، ٢٠ سم

---

{ جميع الحقوق محفوظة © }

ببلومانيا للنشر والتوزيع
ج . م . ع
+٢٠١٠٦٥٥٣٤٥٤١
+٢٠١١٥٠٩٩٩٣٤٤
المدير العام : جمال سليمان

---

المراجعة اللغوية : سعيد أبو زيد الحاج
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

# جَنَّة الأكاذيب

رواية

خالد الشيباني

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

# إهداء

**إلى أول وأجمل صوت راوي سمعته أذناي**

**إلى الشاب الذي عرفني على الحياة**

**وأنا طفل صغير**

## أخي الأكبر

## أيمن

**أطال الله عمرك**

**وأسعدك في الدارين أيها الرائع**

**خالد**

تتقن الأيام لعبتها وما نحن إلا مبتدئون نبحث عن ضربة حظ تساعدنا في مواجهة سلطتها المطلقة علينا ... فإن ملت من التسلي بنا ألقتنا في جحيم الحقائق أو جنة الأكاذيب .. وفي الحالتين .. تأكلنا الصراعات

*خالد الشيباني*

## الفصل الأول

# الجنة التي في الصحراء

**اللون الأصفر يغمر كلّ شيئ وكأنه احتل الوجود بعينيها البريئتين .. باتت تشعر أنها داخل لوحة رسام لم يملك إلا لونًا واحدًا فرسم بدرجاته المتفاوتة فقد حاصرتها الصحراء بصفرتها الميتة لساعات منذ استقلت المقعد الخلفي لتلك السيارة الفارهة التي يقودها سائق كادت تشك أنه أخرس لولا كلمات معدودة نطق بها في ذلك الطريق الطويل .**

كانت شقراء وبشرتها البيضاء ناعمة كبشرة طفل رضيع؛ عيناها شاردتان في أغلب اللحظات وكأنها هاربة من الموت؛ لكن الجمال الأخاذ كان يعمي الكثيرين عن الخوف المخيم في ملامح "سهى" الشابة اللبنانية التي عبرت منتصف العشرين من العمر والتي أخيرًا منحتها دراستها للغة الإنجليزية فرصة ذهبية لتعليم أبناء عائلة فاحشة الثراء براتب خرافي ولكن تلك العائلة للأسف تسكن في غياهب الصحراء .

(ألن تنتهي تلك الصحراء أبدًا؟!) قالتها سهى وزفرت بعدها زفرة طويلة بدت كالتأفف وكان معها كل الحق فلابدّ أن يمل المرء بعد أن يقضي كل هذا الوقت بين الرمال التي كانت تبعث في نفسها الشعور بالحر رغم مكيف السيارة القوي الذي كاد يحولها إلى شتاء قارص البرودة؛ لم يرد السائق لكنه سرعان ما قطب حاجبيه العريضين عندما رأى

على بعد سيارة متوقفة على جانب الطريق فهو طريق خاص له مدخل وبوابة لا تفتح إلا للمسموح لهم بالسير فيه ولا يؤدي سوى لمكان واحد ومن النادر أن يرى عليه سيارات أخرى .

كان يفيض عرقًا وكأن بداخله ينابيع لا تنضب؛ لكنه اعتاد التعرق منذ طفولته التي بدأ فيها التدريب على لعب كرة القدم ؛ تمدد على مقدمة سيارته التي قررت التوقف في منتصف اللامكان بتلك الصحراء مترامية الأطراف وذلك الطريق الذي لا يؤدي سوى لموقع واحد "قصر اللوتس" حيث يعمل مدربًا لكرة القدم لأطفال صاحبة القصر فاحشة الثراء لوتس هانم .. كانت تلك هي المرة الأولى التي يتوجه من إجازته لمقر عمله بسيارته التي اشتراها حديثًا بعدما تغيرت أوضاعه المادية بتلك الوظيفة المربحة ربما كان هذا سبب أنه لم يحسن تقدير كمية الوقود التي ستحتاجها

السيارة حتى يصل وجهته البعيدة فتوقفت على بعد عشرات الكيلومترات منها؛ لم يكن بإمكانه الجلوس داخل السيارة التي تحولت بعد توقف مبرد الهواء إلى أتون يشع حرارة فتمدد على مقدمتها فاردًا قدمًا ومثنيًا الأخرى ومسندًا ظهره للزجاج الأمامي؛ منتظرًا إما نهايته الحتمية أو معجزة نجاته فالسير في تلك الصحراء كان موتًا محققًا لا محالة؛ لم يصدق "معتز" أذنيه عندما سمع صوت السيارة التي تقل سهى تقترب منه فدب النشاط في جسده بشكل فجائي جعله يسقط على الأرض لكنه تجاوز الألم والارتطام ووقف على قدميه متأهبًا لاستقبال معجزة نجاته .

لم يطل الحوار بين معتز والسائق الذي كاد ينفجر ضاحكًا من سوء تقديره لكمية الوقود؛ حمل معتز حقيبته من السيارة بعد أن قام السائق بربطها في مؤخرة سيارته المرتفعة فارتفعت عجلتاها الأماميتان عن الأرض وأصبحت

مسلوبة الإرادة تتبع السائق وسيارته حيث يذهبان؛ كان ذلك أسهل عليه من العودة إليها بسائق ووقود إضافيين كما أن سيارته الضخمة ذات الدفع الرباعي كانت تجر سيارة معتز خلفها وكأنها تمضي وحدها .

جلس معتز في المقعد المجاور للسائق ينعم بمبرد الهواء ويستهلك كمية كبيرة من المناديل الورقية لتجفيف عرقه فرمقته سهى بنظرة فاحصة سريعة وخفيفة كعادة الشابات حينما تقابل شابًا للمرة الأولى فرأته شابًا ثلاثينيًا ملامحه وسيمة وشعره الأسود الكثيف يمنحه مظهرًا مفعمًا بالشباب؛ بعد أن انتهى معتز من تجفيف نفسه واستوعب حدوث معجزة نجاته الإلهية بدأت عيناه تتلصصان على تلك الحسناء الجالسة خلفه من مرآة السيارة دون أن يلتفت لكنه سرعان ما أشاح بوجهه بعيدًا عن المرآة عندما

أطلت عيناها فيها ترمقه بنظرة حادة وكأنها تنهره على تلصصه .

لم يستطع معتز مقاومة إغراء الكلمات التي كادت تفجره فضولًا لو لم ينطقها فاستجمع شجاعته وأدار وجهه للخلف قليلًا وقال: (أحضرتك ضيفة أم تراك موظفة جديدة؟) اتسعت عينا سهى بعدما تفاجأت بجراءة معتز وصمتت للحظة جعلته يدير وجهه للأمام ونفسه تؤنبه على بئر الحرج الذي ألقاها فيه لكن صوت سهى الرقيق المفعم بالطيبة والحنان في مزيج ساحر أخرجه من بئر الحرج وبدد مشاعره السلبية وأعاد وجهه للاستدارة نحو سهى كي يراها وهي تقول (أنا معلمة للغة الإنجليزية سأقوم بالتدريس لثلاثة أطفال) هنا يقاطعها معتز قائلًا بحماسة (هاني وهيثم وهنا .. أنا مدرب كرة القدم للولدين إذن فسنلتقي كثيرًا فنحن زملاء) هنا تتلاقى أعين الشاب والشابة للمرة الأولى فيشعران بوخز في قلبيهما لكنهما شردا بدلًا من أن يشعرا

بالسعادة؛ فرحلة الشقاء التي خاضها كل منهما لم تكن تنبئ أبدًا أن بها محطة يلتقيان فيها مع الحب .

(وصلنا بوابة الجنة) قالها معتز ليجذب سهى بعيدًا عن تيار شرودها فتقول متعجبة (أي جنة؟!) يبتسم معتز قائلًا (جنة لوتس هانم .. التي يعبر بنا السائق بوابتها الآن .. كما ترين هي مساحة ضخمة من الحدائق والمزارع ووسائل الترفيه يتوسطها قصرها المهيب) تعقد سهى حاجبيها وهي تتعرف على المكان حولها من نافذة السيارة ثم تقول بصوت تغمره الحيرة (ولماذا قامت بتشييد هذه الجنة وسط تلك الصحراء القاحلة؟) هنا يتبادل معتز والسائق نظرة ذات مغزى ويبتسمان فيقول السائق جملته الطويلة الأولى والأخيرة منذ بداية الرحلة (نصيحتي الوحيدة لحضرتك في هذه الجنة .. لا ترهقي عقلك بالأسئلة فهي تتوفر بكثرة هنا .. إنما من النادر أن تجدي إجابة لأي منها) ..

(بيروت) قالتها سهى مجيبة عن سؤال حول مكان إقامتها بموطنها الأصلي لبنان طرحته "داليا" المرأة الأربعينية ذات الشعر الأحمر والقوام الممشوق والتي أوصل السائق سهى إليها وهي جالسة تحت تكعيبة عنب كبيرة، وبدأتا التعارف (أنا مديرة أعمال لوتس هانم مالكة الجنة .. لا تتعجبي نحن نسميها كذلك ففيها كل شيئ يتمناه أي من سكانها .. ستقيمين في كوخ بديع قريبًا من حمام السباحة .. وسيكون تعاملك معي في كل شيئ يخص الأولاد)، تصمت داليا التي كان لديها المزيد من التوجيهات لسهى في يومها الأول بتلك الجنة، عندما تقترب امرأة تبدو وكأنها في أوائل الخمسين من العمر بسبب جسدها المتناسق وظهرها المفرود والحيوية الظاهرة في مشيتها ولكن بعض خطوط المشيب والتجاعيد التي نجحت في تجاوز مساحيق التبرج في وجهها كانت تؤكد أنها تجاوزت الستين منذ أعوام كانت تلك "لوتس" أو "صاحبة الجنة" كما يسميها الجميع؛ كان يسير بجوار صاحبة الجنة رجل ضخم الجثة أسمر اللون يرتدي

بذة رمادية ونظارة شمسية حليق الرأس بالكامل وتلمع بشرة رأسه وكأنها رأس لم تنبت بها شعرة من قبل كان ذلك "عاصم" ابن شقيقة لوتس والذي يشغل منصب مدير الأمن؛ كان زجاج النظارة قاتمًا للغاية بشكل يجعل مشاهدة أحد لعينيه شبه مستحيلة مما منحه مظهرًا غامضًا وساعد جسده الضخم على إضفاء المزيد من الهيبة عليه .

وقفت داليا باحترام وزالت عنها كل مظاهر التعجرف التي غمرتها أثناء التحدث مع سهى التي وقفت بدورها بعد أن تبين لها أن القادمة هي سيدة المكان فابتسمت لوتس وجلست تحت كرمة العنب في كرسي معد لها هناك وتبعها بعض الخدم الذين هرولوا خلفها وهم يحملون زجاجات المياه والعصائر والفواكه ووضعوها على طاولات صغيرة بجوارها؛ كان التوتر يظهر على الخدم لكونها خرجت من قصرها نحو الكرمة فجأة ويبدو أنها فعلت ذلك لتعاين

**المعلمة الجديدة: أشارت لوتس بيدها دون أن تنبس ببنت شفة فجلست داليا وأشارت لسهى بالجلوس في حين ظل عاصم واقف يتفرس في ملامح سهى من خلف نظارته القاتمة (اجلس يا عاصم) قالتها لوتس بصوت هادئ مليئ بالثقة والحزم رغم أن الابتسامة لم تفارق وجه صاحبته لثانية بشكل كاد يخفي عينيها الضيقتين فجلس ذلك الضخم وكأنه طفل مطيع في كرسي مجاور للطاولة وانتظر للحظة حتى مدت لوتس يدها للفاكهة فمد يده بدوره وبدأ في الأكل بفتور دون أن يظهر التلذذ على ملامحه الجامدة وكأنه رجل بلا مشاعر (صباح الخير يا أفندم .. تلك سهى معلمة الانجليزية اللبنانية التي طلبتيها) قالتها داليا بشكل رسمي جدًا فهزت لوتس رأسها وقالت (لبنانية شقراء كما وعدت الأولاد .. أحسنتِ يا داليا) هنا شردت سهى بعدما عرفت سبب إصرار الوسيط الذي وظفها على أن تصبغ شعرها وتصبح شقراء وتخفي جواز سفرها السوري وتذهب لجنة لوتس حاملة جواز سفر لبناني منحه لها فصاحبة**

الجنة وعدت أطفالها أن تجلب لهم معلمة لبنانية شقراء؛ رفضت سهى في البداية لكن الوسيط طمأنها بأن مدير الأمن والذي هو ذلك الغامض عاصم يعرف الحقيقة وهو يريد فقط إرضاء ربة عمله ولا توجد أي مشكلة ستواجهها فهو المنوط بالتحقق من شخصيتها؛ فوافقت الشابة على مضض ..

أفاقت سهى من شرودها لتجد لوتس تهم بالانصراف وهي ترحب بها بجملة قصيرة وابتسامة رزينة وتتجه لتركب عربة تجرها الأحصنة؛ جلس عاصم مكان سائقها وقادها مبتعدًا ليعود التعجرف على ملامح داليا التي أشعلت سيجارتها الرفيعة، ونفثت دخانها بارتياح ثم سألت سهى الشاردة عن سبب شرودها فتعللت الشابة بأن السفر كان طويلًا وأنها تحتاج للراحة فأشارت داليا لأحد الخدم ولم تمر دقيقة إلا وحضر الخادم يقود سيارة كهربائية مفتوحة من الجانبين كالسيارات المنتشرة في ملاعب الجولف والقرى السياحية وهنا تظهر الدهشة على ملامح سهى لركوب

صاحبة الجنة لعربة تجرها الأحصنة رغم توفر تلك السيارات الحديثة؛ لكنها تذكرت كلمات السائق لها بألا ترهق نفسها بالأسئلة فركبت السيارة بجوار الخادم وانطلق بها نحو مكان إقامتها .

الشمس كانت على وشك المغيب وكأنها انتظرت قدوم سهى لتريها الأكواخ الخشبية بديعة المنظر التي تعطي انطباعًا برفاهية ساكنيها؛ توقفت السيارة الكهربائية أمام أحدها وقام الخادم بفتح بابه ثم ناول سهى مفتاح الكوخ الخشبي وساعدها على إدخال حقائبها فيه وانصرف لتتفقد المبيت المؤثث برقي كبير والمزود بمبرد هواء وعدد من الأجهزة الكهربائية تدل على الاهتمام بمن سيسكنه؛ هنا تبتسم الشابة وتدور حول نفسها في سعادة وتطلق صيحة سعادة ثم تشرع في إخراج ملابسها من الحقائب فتلمح عيناها من نافذة الكوخ رجلين يتحدثان في شرفة كوخ مجاور كان أحدهما رجل في أواخر الأربعين لا تتبين ملامحه جيدًا ولم تره

من قبل أما الآخر فكان معتز وكان هذا سببًا كافيًا لكي تتسع ابتسامتها فليس الكوخ فاخرًا وحسب بل ومجاورًا لكوخ الشاب الرياضي الوسيم .

(المتهورون يسيرون دائمًا على حافة الحياة مستعدين لمواجهة الموت في أي لحظة .. يراهم المتعقلون حمقى ويرون من سواهم أغبياء لأنهم لم يجربوا لذة المخاطرة ولو لمرة واحدة في حياتهم الميتة) قالها خليل الطبيب البيطري الجالس مع معتز يتجاذب أطراف الحديث بعد عودته من إجازته .. كان رجلًا هادئ الملامح ممتلئ الجسد بشكل طفيف له شارب كث ولحية خفيفة ويتحدث بلكنة تونسية في بعض الجمل ثم يعدلها للعامية المصرية إن لم يفهمها معتز الذي قال مدافعًا عن نفسه بعد اتهامه بالتهور (ليس تهورًا هو سوء تقدير للمسافة فحسب)، فيرد خليل بنبرات يتخللها الضحك (وماذا يكون التهور إن لم يكن سوء تقدير المسافة في الصحراء) ينفجر الرجلان ضاحكين فتقع عينا خليل من نافذة الكوخ على سهى الواقفة ترتب

ملابسها داخل الدولاب الخشبي بحجرتها فيقول بتأمل (تبارك الله) هنا يلتفت معتز فيرى الشابة الجميلة التي ساقتها الأقدار للكوخ المجاور فيشرد وترتسم الإبتسامة على وجهه فيقول خليل (إذن فتلك هي الجميلة التي التقيت بها في الطريق .. أتعرف أن آدم لم يسعد بالجنة بحق رغم كل ما فيها إلا بعد أن خلق الله له حواء) هنا يفيق معتز من شروده ويقف بحماسة قائلًا (أليس من الواجب أن نرحب بجارتنا الجديدة؟) هنا يبتسم خليل ويقول (وما الداعي للسؤال وقد اتخذتَ قرارك؟ .. لكنْ رأيي ألا تتسرع فقد أتي البحر حتى شاطئ مدينتك التي لم تكن ساحلية قبل اليوم فاستقبلْ أمواجه التي سترتادك دائمًا بهدوء كي تكتسب احترامه .. التسرع سيظهرك بمظهر الشاب السطحي وبعض من التمهل سيمنحك رونقًا تحتاجه في علاقتك الجديدة مع البحر) يجلس معتز حانقًا بعد أن اخمدت كلمات خليل ثورة حماسته فيبتسم الرجل ويقول (أحب فيك استماعك لصوت العقل رغم حبك للثهور فهو مزيج

غريب ويستحق المشاهدة) تُغلَق ستائرُ كوخ سهى وتُطفَأ الأضواء مما يدل على نومها فيقول خليل (أرأيت كانت سترد على ترحيبك بأعين متثاقلة وتضيع فرصة لقاء ترحيب طويل تترك فيه انطباعًا جيدًا .. تعلم التعامل مع النساء أيها المتهور) يقطب معتز حاجبيه ويقول (أنا لا أدري كيف يظل خبير بالنساء مثلك بلا زواج؟!) يقهقه خليل ويقول (ألم يمر ببالك أن خبرتي بهن ربما جعلتني لا أتزوج؟!) هنا ينفجر الرجلان ضاحكين وتمر الليلة بسلام كلياليٍ كثيرة مضت في جنة لوتس هانم .

وقفت سهى أمام بوابة القصر والحيرة تعصف بها بعد أن اخبرها الخادم بأن دخول القصر ممنوع إلا على سكانه وضيوفهم والخدم وأنها ستلتقي بالأطفال في مبنى مجاور وأرشدها إليه لكن هذا لم يكن سبب الدهشة الوحيد في ذلك الصباح فقد اكتشفت أن أصغر الأطفال

سنًا لا تتحدث العربية وأنها ستعلمها العربية من الإنجليزية وليس العكس وملامح الأطفال نفسها كانت مزيجًا عجيبًا من الأعراق فأكبرهم "هاني" كان ذو بشرة خمرية كبشرة الهنود وأوسط هيثم "كان قمحي البشرة أسود الشعر وأصغرهم "هنا" كانت بيضاء بحمرة في وجنتيها لها شعر بني تتخلله خصلات ذهبية؛ الأكثر غرابة كانت أعمار الأطفال فلم يتجاوز أكبرهم العاشرة من العمر إذن فهم بالتأكيد ليسوا أبناء صاحبة الجنة (أأنتم أحفاد الجدة لوتس؟) قالتها سهى للأطفال الثلاثة فرد أكبرهم (نعم) فتسأل سهى مرة أخرى (وأين أباؤكم؟) يظهر الحنق على وجه الولدين ويقفان فجأة ويقول أكبرهم مرة أخرى (هذا موعد تدريب كرة القدم .. لقد أتينا للتعرف بك ليس إلا .. هنا فقط هي من ستدرس معكِ الآن) ينصرف الولدان دون كلمة أخرى ودون استئذان تاركان خلفهما سهى وسط دوامة من الدهشة فيقول صوت آت من عند باب حجرة الدراسة (أنتِ هنا لتعليمهما ليس لتربيتهم ) تلتفت سهى لمصدر الصوت لترى لوتس واقفة

عنده دون دخول وبجوارها خليل الطبيب البيطري ويظهر لسهى أنها لن تسير داخلة فتسير هي نحوها لتلقي التحية وتلحظ يدى لوتس التي لا تمتدان نحوها فتتراجع عن مد يدها لها بذكاء تلاحظه لوتس التي تقول (هذا دكتور خليل أحد أطبائنا البيطريين .. فلدينا العديد من الحيوانات هنا) تظهر الدهشة على ملامح سهى وهي تقول (مرحبًا بك يا دكتور .. تفوح منك روائح عطرة جدًا .. يبدو أنكم تعطرون الحيوانات ) تنقلب ملامح لوتس للجدية مرة واحدة وتقول (لسنا سفهاء لنعطر حظائرنا .. هو فقط في طريقه لعمله وعند عودته ستفوح منه روائح الحظائر .. لقد أعطيتني تقريرك يا سيد خليل يمكنك الآن الانصراف كي لا تتأخر على عملك) هنا يظهر الارتباك على وجه خليل ويقول لسهى (أهلًا بك .. نورت الجنة) ثم يستأذن لوتس فتهز رأسها بهدوء فينصرف فتقول سهى (إن الطفلة لا تتحدث العربية مطلقًا .. ترى لماذا؟) هنا ترتسم نظرة حادة في عيني لوتس وتقول ببرود (كانت تعيش بالخارج .. للعلم .. أنا لا أحب الأسئلة ..

وأريدك منذ الآن أن تهتمي بعملك فقط .. فأنا لا أرحب بالفضوليين في جنتي)

* * *

ظهر جليًا لسهى وهي تتابع تدريبات الولدان مع معتز والتي شملت أطفالًا آخرين من أبناء الخدم أن الجميع يحب معتز بشكل خاص وكأنه أب روحي لهم وليس مجرد مدرب

كرة قدم ؛ لمح معتز الشابة تتابع التدريبات بشغف فانتظر حتى انتهى من التدريب وصرف الأطفال ثم توجه إليها وتجاذب أطراف الحديث معها حتى وصلا إلى أكواخهم؛ كان تعارفًا يسوده الود ويظهر فيه الإعجاب المتبادل في أعينهم (إذن فقد كنت لاعب كرة شهير بالنادي الأهلي .. أتعجب كيف لم أسمع باسمك من قبل؟) يتظاهر معتز بالغضب ويقول (أتقصدين أنني غير مشهور؟!) فتنطلق من سهى ضحكة صافية وتقول (لا أقصد الإساءة ولكن) يقاطعها معتز قائلًا (أنا أفهم قصدك .. للأسف لم ألعب فعليًا في الأهلي فقد أصبت في حادث سير بعد انتقالي له من نادي آخر بقليل .. دهسني الواقع وأنا في أول طريقي للحلم) يظهر التأثر على وجه سهى من صدق معتز وهو يقول جملته الأخيرة فيحاول تخفيف وطأة جملته ويقول (لكنني أملك أحلامًا جديدة بهؤلاء الصغار) فتبتسم سهى وتقول (بالفعل لك الآن أحلامًا كثيرة بدلًا من حلم واحد) هنا يظهر خليل عائدًا من عمله متجهم الوجه ومتجهًا لكوخه فيستوقفه

نداء معتز الذي قال (يا دكتور ألن تأتي للتعرف على جارتنا الجديدة؟) يزيح خليل التجهم من على وجهه ويسير نحوهما ويقول (لقد تعرفت بها هذا الصباح) يفاجأ الشابان برائحةٍ كريهة تفوح من خليل فيقول (لا تنزعجا من رائحة الزرائب فتلك ضريبة مجاورة طبيب بيطري) هنا تنفجر الشابة ضاحكة وتقول (كانت رائحتك بالنهار أزكى بكثير) فيقول معتز مازحًا (هو دومًا صاحب رائحة زكية .. فلديه دولاب كامل من زجاجات العطر .. لقد قابلناه في الوقت الخاطيء فقط) يمثل خليل الغضب وتنقلب ملامحه للتجهم فيضطربان لكنه سرعان ما يحولها للابتسام ويقول (دعوني إذن أزيل تلك الروائح عني وأعود لكم نتغدى سويًا ترحيبًا بجارتنا الجديدة) يتوجه خليل نحو كوخه يقول معتز مازحًا (لا أظن أن مثل تلك الرائحة ستزول يا دكتور ستحتاج إلى دولاب العطر بأكمله) تنطلق ضحكة سهى الصافية مرة أخرى إثر جملة معتز فيتأملها للحظة ويشعر أنه ربما كانت في رحلته الشاقة محطة للحب .

طوابير من الخدم وأهاليهم وقفت أمام المسلخ حيث يتم توزيع اللحوم عليهم في حين جلست لوتس وبجوارها عاصم وداليا وتلك الأخيرة كان يظهر عليها الاستياء من حضور الذبح ومنظر الدماء التي ملئت أرجاء المسلخ لكنها كانت سعيدة بالامتنان المتطاير من أعين الخدم والذي نابها منه حظ وافر كلوتس وعاصم (كان يمكننا حضور التوزيع فقط لماذا لم ينهوا الذبح قبل حضورنا؟) تمط لوتس شفتيها وتقول (أجبها يا عاصم) فيرمق عاصم داليا بنظرة بدت نارية رغم أنه يرتدي نظارته القاتمة كعادته (السيدة لوتس تحب حضور الذبح فتلك السنة لتأخذ الأجر كاملًا .. وإن كان بإمكانها توكيل أحد عنها دون أن ينقص ذلك من أجرها شيئًا لكنها تفضل الحضور) تطلق داليا زفرة ملل وتقول (ما شاء الله .. خيرة جدًا يا صاحبة الجنة) لا ترد لوتس فيلاحظ عاصم وداليا شرودها لكنهما لا يحاولان

إخراجها من حالة الشرود ويصمتان مثلها فيجسد الثلاثة لوحة من الصمت والدماء تسيل .

(أنا لا أوافق على هذا .. تلك مهزلة بكل المقاييس .. لقد وافقت على الكذب بخصوص حقيقتي في البداية لكي لا أسبب لك حرجًا إن عرف الناس وظيفتي .. لكنني الآن أصبحت مرغمًا على تلويث نفسي بروث البهائم يوميًا كي لا يكتشف أحد أني لست طبيبًا بيطريًا) قالها خليل بحنق بالغ وتوتر ملحوظ ازداد عندما اتسعت عينا لوتس ومطت شفتيها ثم أشعلت لفافة تبغ وسحبت منها نفسًا عميقًا جدًا ثم أخرجته في وجه خليل الذي وصل لقمة توتره لكنه استطاع الجلوس ساكنًا حتى قالت لوتس (وماذا تريد الآن .. تلك المعلمة الجديدة فضحت أمرك وأنت السبب .. فإغراقك لنفسك بالعطور بهذا الشكل يلفت انتباه الجميع .. ومن المفترض أنك طبيب بيطري .. أليس هذا ما اتفقنا

عليه) يضطرب خليل للحظة ثم يقول (وما الضرر أصلًا إن عرف الناس حقيقتي؟!) تسحب لوتس نفسًا آخر من سيجارتها وتقول ببرود (أتريد أن يعرف سكان جنتي أن صاحبة الجنة والمتحكمة فيهم وفي كل شيئ هنا تعاني من مشاكل نفسية وتستعين بطبيب نفسي لعلاجها .. أتعرف ما المشكلة الأكبر .. أن الناس عرفوك بالفعل كطبيب بيطري ولو افترضنا أننا سنلقي بصورتي أمام الناس عرض الحائط فكيف نبرر لهم الإخفاء في البداية إن إعلان حقيقتك الآن أصبح مشكلة أكبر من ذي قبل فهي حقيقة كانت مخفية وزيفت بعناية مما سيضاعف أضرار الخبر علي .. إن كنتَ تريد الانسحاب الآن فلا مشكلة .. سأجعلهم يصفون لك حساباتك في الصباح ولترحل من حيث جئت) هنا يرتبك خليل ويظهر بوضوح عدم رغبته في الانسحاب على ملامحه ويبدأ في التحدث بنبرة أهدأ (أنا لا أستطيع التخلي عنك وخاصة أننا لم نحقق تقدمًا في علاجك حتى الآن ) تدهس لوتس سيجارتها تحت قدمها وتقول (أوليس راتبك الخرافي

سببًا هو الآخر؟!) يوميء خليل برأسه علامة الإيجاب فتقول لوتس (أحب صراحتك .. ولكن أخبرني ماذا ستفعل بكل هذا المال .. أنت غير متزوج وليس لديك أولاد على حد علمي) هنا يتأفف خليل ويقول (دعك مني ومن حياتي .. نحن هنا لمناقشة حياتك أنت .. استلقي وأخبريني عمَّ أزعجك اليوم؟) تستلقي لوتس وتشغل سيجارة أخرى وقبل أن تسحب دخانها نحو رئتيها تقول (أنا منزعجة دومًا كما قلت لك .. ربما لدي كل أسباب السعادة من وجهة نظر الكثيرين لكني مكتئبة وحزينة .. الابتسامة ترتسم على شفاهي فقط ولا تعبر إلى داخل وجداني قط) يتركها خليل تسحب نفسًا من سيجارتها ثم يقول (هل كنت طفلة سعيدة؟) تظهر الدهشة على ملامح لوتس وتقول (وما دخل طفولتي بما أنا فيه الآن بعد أن تجاوزت ال...) تصمت لوتس ولا تكمل جملتها فيقول خليل (الستين أليس كذلك؟) توميء لوتس برأسها ثم تقول (أتظنّ رجلًا سيرغب بامرأة تجاوزت الستين من العمر .. أم أنني أصبحت مجرد امرأة بالاسم فقط) يشعر خليل

بالأسى في كلمات المرأة فيقول (لكل مرحلة جمالها وأنوثتها أنت الآن ترعين أحفادك وتصنعين الجنة لكل من هم حولك .. أخبريني أين آباء أحفادك؟) تقطب لوتس حاجبيها وتقول (وما علاقة هذا بعلاجي النفسي؟) هنا يتأفف خليل ويقول بحنق ولكن بنبرة حاول أن يجعلها هادئة (أنت ترفضين إخباري أي شيئ عن ماضيك أو حاضرك حتى .. فكيف سأساعدك ومن أين سأعرف ما سبب مشاكلك النفسية؟) هنا تحاول لوتس تهدئته وتجلس بجواره وتقول (يجب أن تراعي انعدام ثقتي في الناس .. وأنني أحتاج وقتًا كي أثق بك وأروي لك أدق تفاصيل حياتي .. لقد أخبرتك هذا مرارًا .. أرجوك تحملني .. أتعرف ما هو أكثر شيئ يضايقني .. أنا أشعر بالسعادة عندما أمنح الخدم اللحوم لكن ما يسعدني ليس امتنانهم أو دعواتهم .. إنما رؤية الدماء تسيل أمامي ورؤية الذبائح والروح تغادر أجسادها .. تخيل الشيئ الذي يمنحني السعادة هو الدماء والموت .. تخيل مأساتي .. حاول أن تشعر بمعاناة امرأة مثلي .. أنا أشعر أن روحي تحترق في

جحيم لانهائي من تأنيب الضمير وأن نفسي تتلذذ بعذابها وصرخاتها .. أتدرك ذلك الصراع الذي يشطرني نصفين .. نصف يعاني ونصف يستمتع بمعاناته) يظهر التعاطف في عيني خليل فيربت على ظهر لوتس التي أصبحت مرتمية بين ذراعيه بالفعل وحين يهدأ انفعالها يشير لها فتتجه للاستلقاء على الأريكة مرة أخرى فيقول (لماذا تمنعين الجميع من دخول القصر .. لماذا حتى نجري هذه الجلسات في غرفة بأحد المباني المنعزلة .. أتخافين أن يفشي سرك أحد من سكان قصرك؟) هنا تشرد عينا لوتس وكأنها تراقب قمرًا في مجرة بعيدة وتقول (سكان القصر هم أكثر من أخشى خيانتهم رغم أنهم أكثر الناس ولاء لي إنهم أخطائي وجرائمي الكبرى وهم أيضًا مشنقتي وجلادي المتربص .. أرأيت أنا في دوامة لا تنتهي من الصراعات والتناقضات) انسابت دمعة على وجنة لوتس كانت كفيلة بإنهاء الجلسة العلاجية في تلك الليلة؛ طوال طريق العودة لكوخه كان خليل يفكر هل سينجح ذات يوم في علاج تلك المرأة أم أنه

سيكتفي بمحاولاته ، كادت الشمس تشرق وكاد يصل كوخه لكن عيون سهى المستيقظة مع نسمات الفجر لمحته فما كان منه إلا أن يتجه إليها ويحييها ثم يتجه لكوخه لكن عيونًا أخرى لمحته يحدثها على باب كوخها وظن صاحب تلك العيون أنه أمضى الليلة في كوخها أو بوصف أدق في سريرها.

انتهت من قراءة كتاب جديد مع الإطلالة الأولى للصباح فشعرت سهى برغبتها في التريض كعادتها عندما كانت في وطنها الأم حين كان ينعم بالأمان المعجون بالقهر ؛ لم تفكر كثيرًا فارتدت زيًا رياضيًا وبدأت تتريض في أرجاء الجنة كما يسمونها علمت للمرة الأولى كم هو مكان فسيح مترامي الأطراف به كل ما يخطر ببالِ بشرٍ من أشياء فبهِ البساتين التي تتلالأ فيها ثمار الفواكة والصوبات الزجاجية التي تطل من خلف زجاجها زهور من مختلف الأنواع حتى

النادر منها؛ مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة وأخرى لازالت صفراء تنتظر الزراعة؛ قطعان من الدواب وحديقة حيوان صغيرة بها عدد من حيوانات الغابة الغير لاحمة كالطواويس والغزلان والقرود؛ مصانع لمنتجات الألبان واللحوم والدواجن؛ كلت قدماها من الركض فقررت العودة من حيث جاءت لكنها سلكت طريقًا فرعيًا امتدت على جانبيه أشجار الكافور بشكل بديع ظنته يؤدي لكوخها، تعمقت كثيرًا في الطريق الفرعي حتى خمدت كل أصوات الحياة فعرفت أنها ابتعدت عن المصانع والمزارع لكن الأكواخ لم تظهر فظنت أنها ضلت طريقها وتوقفت تلتقط أنفاسها وتتبين وجهتها وبينما هي تحاول عبور ضباب الحيرة وتفكر في العودة إلى بداية ذلك الطريق تلتقط أذناها وقع أقدام مسرعة تعدو نحوها آتية من خلفها حيث غابة الكافور المتشابكة وبدون أدنى تفكير أو التفات لمصدر الخطوات تبدأ في العدو ويشجعها على ذلك أن صاحب الخطوات لم يطلق أي صوت نداء لها ولم يستوقفها بل ظل

يحاول الاقتراب منها مما أكد لها أنه لابدَّ وأن يكون خطرًا عليها؛ لم تكن تدري إلى أين تتجه وهل يؤدي عدوها لمكان مأهول أم للمزيد من الضياع لكنها أصبحت خبيرة بالخطر بعد أن اغتصبت الحرب بلادها؛ وخبرتها علمتها أن النجاة منه لشابة ضعيفة مثلها إما بالاختباء أو بالعدو دون توقف ولم يكن أمامها إلا أن تسلم ساقيها للرياح؛ تحول جسدها إلى شعلة من الأدرينالين تتصبب عرقًا؛ لكن صوت الخطوات ظل يطاردها مقتربًا كانت خطوات تضرب الأرض بقوة معبرة عن جسد ضخم لصاحبها؛ تصاعد التوتر في نفسها وكادت أنفاسها المتلاحقة وضربات قلبها المتسارعة تقضي عليها؛ فجأة تعثرت إحدى قدميها بصخرة صغيرة وتهاوى جسدها ليسقط على الأرض المفروشة بأوراق الشجر المتساقطة؛ هنا توقف الزمن .

(آنسة سهى .. لا حول ولاقوة إلا بالله .. أجيبيني بالله عليكِ) قالها صوت معتز المتفجر قلقًا وهو يتفقد تلك الشابة فاقدة الوعي وبجواره خليل المضطرب الذي تجوب عيناه المكان باحثة عن سبب فقدان تلك الشابة لوعيها؛ يلحظ خليل القلق المتصاعد في نفس معتز فيربت على كتفيه قائلًا (لا تقلق يا معتز نبضها وتنفسها منتظمان هي فقط فاقدة لوعيها) وبالفعل ما هي إلا لحظات وتبدأ الشابة في الإفاقة وتفتح عينيها اللتين غمرتهما الرؤية المشوشة للحظة ثم بدأت الصورة تتضح شيئًا فشيئًا؛ لم تعرف لماذا اطمأنت لرؤية وجهي معتز وخليل رغم أنهما غريبين عنها؛ كان التوتر المسيطر على وجهيهما إثباتًا كافيًا لعقلها على كونهما شخصين جديرين بالثقة؛ حاولت جمع شتات أفكارها لتقص عليهما ما حدث لكن خليل فضل نقلها إلى كوخها أولًا ؛ كانت بعض الرضوض في وجهها وجسدها من أثر السقطة واكتشفت إصابة قدمها بشد

عضلي والتواء في كاحلها فسندها الرجلان عائدين بها لكوخها.

(ربما لم يكن إلا كلبًا من كلاب الحراسة .. أو شخصًا يركض مثلك) قالتها داليا ببرود وهي تنفث دخان سيجارتها داخل كوخ سهى التي انتهى الطبيب من تضميد جروحها بينما وقف معه معتز يساعده باهتمام بالغ وقال (هي قالت خطوات بشرية .. وإن كان شخصًا يركض وحسب .. لماذا لم يتحدث؟) تقطب داليا حاجبيها وتقول (وفيم سيحدثها.. ما أدراه بالرعب المتفجر في نفسها .. ربما ظنها تتريض مسرعة .. فهي كما قالت لم تطلق أي نداء للاستغاثة) يمط خليل شفتيه بعد أن اقتنع بكلمات داليا ويقول (ربما كان الأمر كذلك فعلًا .. وخاصة أنه لم يصبها بأي أذى وهي فاقدة لوعيها .. أليس كذلك يا سهى؟) انكمشت الشابة في نفسها وهزت رأسها علامة الإيجاب فيقول الطبيب (أنت بخير تحتاجين لراحة لعدة أيام لتتعافي من الرضوض والكدمات وتحتاجين أيضًا لبعض جلسات العلاج الطبيعي لعلاج الشد

العضلي والالتواء بكاحلك) هنا يبتسم معتز ويقول (تلك مهمتي إن سمحت لي الآنسة سهى .. فعملي في كرة القدم علمني الكثير عن العلاج الطبيعي) تبتسم سهى للحظة ثم تستدرك قائلة (بالطبع لا .. أنا أريد متخصصًا) فيقول خليل والضحك يتخلل نبرات صوته (هي تشعر بالتحرج منك أيها الشاب دع تلك المهمة لي .. فلي خبرة بجلسات العلاج الطبيعي مع الماشية) ينفجر الجميع ضاحكين عدا داليا التي تطلق زفرة حانقة وتلقي سيجارتها أرضًا وتقول وهي تسحقها بقدمها (المهم ألا تطول تلك الفترة العلاجية فالأطفال يحتاجون لمعلمتهم) تغادر داليا الكوخ دون كلمة أخرى فيناول الطبيب روشتة الأدوية لخليل ثم يحييهم وينصرف لاحقًا بها ؛ (دع لي أمر الأدوية سأذهب لجلبها من صيدلية الجنة) هنا تقطب سهى حاجبيها وتقول (بدأت أشك في تسمية هذا المكان بالجنة) يقهقه خليل ويقول (لفظ الجنة يعني البستان ذو الأشجار المثمرة .. ألا تذكري قصة أصحاب الجنة في القرآن الكريم .. إنه لا يعني مطلقًا النعيم أو

الفردوس .. لكن أصحابه ربما يروجون لتلك الفكرة ليضخموا من قيمته عند سكانه البسطاء .. لا تظني أن كل سكان الجنة المزعومة سعداء ويتمتعون بالرفاهية مثلنا .. ذكريني أن أصطحبك ذات يوم لزيارة بيوتهم المبنية بالطوب اللبن والمغطاة بأسقف من جذوع الأشجار.. هم بالطبع يخفون تلك المنازل البائسة بعناية في أبعد مكان عن العيون وخلف تلال من الأشجار والنخيل كي لا يعلم من يزور الجنة بوجودها أصلًا ) تتسع حدقتا سهى وتقول (ولماذا يتركونهم في هذا الفقر وهم يمتلكون ثروة طائلة .. ولماذا يعطوننا بالمقابل تلك الرواتب الخرافية؟!) يمط خليل شفتيه ويقول (هم لا يشتكون من شيئ .. يخدمون صاحبة الجنة ويرتضون قطعًا من اللحم توزعها كصدقة عليهم كل فترة .. كما أنهم متوفرون بكثرة ولا يمتلكون شيئًا مميّزًا .. أما أنتِ فتمتلكين شعرك الأشقر وثقافةً وعلما تنقلينهما لصغارها وهم سعداء بجمالك ومميزاتك ويقتنونك كأنك تحفة لديهم؛ كما يمتلك معتز الموهبة والمهارات والانتماء لنادٍ عريق يجعل

الصغار يعتبرونه قدوة لهم ويفتخرون به؛ في حين أمتلك الفكر والحكمة والدرجة العلمية التي تعجلهم يحرصون على اقتناء شخص مثلي .. أمثالنا قليلون لذلك يحرصون أن يكون لديهم من هم في فئتنا أما هم فنادورن لأنهم يستطيعون تسخير الجميع لتلبية رغباتهم والعيش كما يريدون) تصعق الكلمات ذهن سهى ولا تدري ماذا تقول فيعاجلها معتز بقوله (لا تتعجبي .. هذا هو الحال هنا) يظهر الأسى على وجه سهى وتقول (لكن الرفاهية التي تغمر أرجاء المكان والابتسامات على وجوه العاملين به لا توحي أبدًا أنهم بهذا البؤس!!) يبتسم خليل ويقول (هنا وفي الأماكن المشابهة .. الحقيقة ليس ما يقوله الناس .. بل ما يحرصون على ألا يقال أبدًا) تتصاعد الدهشة على ملامح سهى فيقول معتز (تلك قاعدة مهمة تحتاجينها لتتعايشي معنا في الجنة) .

شردت لوتس للحظة وهي جالسة في تكعيبة العنب بعدما قصت عليها داليا ما حدث مع سهى ولكن المرأة خرجت من شرودها سريعًا ورمقت عاصم بنظرة ذات مغزى لم تفهمه داليا فمسح الرجل رأسه الأصلع بيده بحركة لا إرادية دلت على توتره فاتسعت حدقتا داليا وقالت (أهناك أمر لا أعلمه .. لقد ظننت أن المدرسة الجديدة أصيب بنوبة هلع لا مبرر لها) هنا يفاطعها عاصم ويقول بلهجة حازمة (هذا ما حدث بالفعل) ينتقل التوتر إلى داليا التي تهز رأسها ثم تستأذن الانصراف فتحدق لوتس في وجه عاصم دون أن تنطق ببنت شفة فيقول محاولًا تبديد توتره وتغيير الأجواء (لقد اكتشفت عند مروري تهالكًا بأحد الأسوار سببته أمطار الشتاء الماضي) هنا تتعجب لوتس وتقول (لقد رحل الشتاء منذ شهور .. لماذا لم يظهر ذلك التهالك إلا الآن؟) يشعل عاصم سيجارة ويقول (تكشف حرارة الصيف كثيرًا ما أتلفه الشتاء .. سأحتاج إلى المزيد من العمال لإصلاح التلف بالسور .. ربما أضطر لأخذ بعض عمال

الزراعة) يظهر الاستياء على وجه لوتس وتقول (ولماذا لا تكلف بعض الحراس بذلك .. لديك العديد من الحراس؟) ينفث عاصم دخان سيجارته بتلذذ ويقول (لا خطر من التقصير في الزراعة لعدة أيام أما إن ترك الحراس مواقعهم فربما نهلك جميعًا) يظهر التوتر على وجه لوتس لجزء من الثانية لكنها تتمكن من إخفائه خلف نظرة حازمة بسرعة كعادتها وتقول (لقد اخترت هذا المكان النائي المعزول عن كل شيئ لأنشئ جنتي فيه .. لأصبح بعيدة عن المخاطر والعيون المتربصة .. وهؤلاء الحراس الذين يتقاضون رواتبًا ضخمة هم مجرد ديكور ربما لإشعار سكان الجنة بالأمان فيها والتأكيد على سيطرتي عليها وعليهم ليس إلا) تمد المرأة يدها تجاه قطعة فاكهة وقبل أن تصل بها لفمها يقول عاصم بهدوء شديد أصابها بالتوتر (الأعداء موجودون في كل مكان وزمان .. هم يتشكلون بمجرد وجودنا في أي بيئة وكأنهم أمر حتمي لوجودنا فيه .. وظننا أننا نأمن شر جميع الأعداء هو نهايتنا الحتمية .. فذلك يصيبنا بالتراخي ويجعلنا

فريسة سهلة لأي عدو يفكر في التخلص منا .. ربما يكون أعداؤنا هم بعض سكان الجنة الحاقدين أنفسهم .. رجاء لا تجعليني أذكرك بهذا كل فترة يا خالتي العزيزة) وكانت تلك الجملة كفيلة لكي تفقد لوتس شهيتها ولا تأكل قطعة الفاكهة ..

***

(أتعرف لماذا يكرر التاريخ نفسه .. السبب أن البشر لا يتعلمون دروسه .. فيضطر لإعادتها عليهم) قالها خليل منهيًا حوارًا استعرض فيه فلسفته وثقافته وهو جالس يحتسي كوبًا من العصير بينما يقوم معتز بتدليك كاحل سهى

الملتوي؛ لم يزل التحرج عن الشابة رغم وجود خليل فقد كانت مشاعرها تجاه معتز تزداد يومًا بعد يوم ومجرد ملامسته وعلاجه لقدمها المصابة بهذا الحنو كانا يجعلان نبع المشاعر يتدفق داخلها (أنت تعشقين القراءة لدرجة مذهلة) قالها معتز وهو يتفحص أكوام الكتب المتراصة بكوخ سهى فقالت (ألا تحب القراءة؟) هنا يمتقع وجه معتز ويخشى أن يعترف بأنه لم يقرأ كتابًا منذ أعوام فينقذه خليل بقوله (الشباب منهمكون بأعمالهم لم يعد لديهم الوقت الكافي للقراءة في هذا العصر.. إلا من يدرك منهم أنه سيصبح مجرد برميل فارغ .. هؤلاء فقط من يخصصون وقتًا لتوسيع مداركهم وتنوير عقولهم بالقراءة.. ومعتز منهم للعلم) يتنفس الشاب الصعداء بعد أن أجاب خليل تلك الإجابة وشهد له أنه من القراء كسهى فظهر بريق الإعجاب به متزايدًا في عينيها؛ لكنه أدرك حجم الورطة التي وقع فيها عندما سألته (ما آخر كتاب قرأته يا معتز؟) ابتلع الشاب ريقه بصعوبة تشابه صعوبة موقفه وحين يهم خليل بإنقاذه

مرة أخرى تقول بحزم (أريد أن أعرف منه رجاء) هنا لا يجد معتز بدًّا من أن يقول (في الحقيقة أنا مقصر جدًا في القراءة يمكنني أن أقترض منك بعض من الكتب) على عكس توقعه تعجب الشابة بصراحته وتسحب كاحلها الذي كاد ينهي تدليكه من بين كفيه وتسير على قدم واحدة مستندة على قطع الأثاث لتلتقط كتابًا وتعود للجلوس مناولة إياه لمعتز قائلة (إبدأ بهذا فأنا أحبه كثيرًا) لم يناقشها الشاب بل تناول الكتاب منها وتفقد غلافه ثم أشرقت عيناه بسعادة جعلت الفضول يشتعل في نفس خليل ويقول(ما عنوان الكتاب؟) هنا يبتسم الشابان لبعضهما ويتبادلان نظرة ذات مغزى فيقف معتز قائلًا (أظن الوقت حان لنترك الآنسة سهى ترتاح) يقف خليل والاستياء ظاهر عليه كون معتز وسهى لم يجيبا تساؤله عن عنوان الكتاب فيحاول أن يلمح الرجل العنوان فيخفيه عنه معتز قائلًا بعد أن ساد جو من المرح الموقف (لا تحاول) فيرضخ

خليل في النهاية ويغادر الرجلان كوخ الشابة القارئة لتكمل ليلتها بين سطور الكتب.

لم يكرر خليل رجاءه لمعتز كي يخبره عن عنوان الكتاب الذي أقرضته سهى له ؛ فالرجل احترم خصوصية الشابين وفي نفس الوقت كان سيشعر بالإهانة والتضائل لو كرر الطلب ولم يستجب الشاب مما سيغرس ضغينة بينهما لسبب تافه (كم من ضغائن غرست في نفوس البشر لأسباب تافهة) قالها خليل محدثًا نفسه بعد لحظة شرود أثناء سيره مع معتز الذي لم يتنبه لجملته وواصل طريقه نحو باب كوخه ودخل دون إلقاء التحية فالشاب كان في عالم موازي لعالمهم الحقيقي؛ عالم من الأمل وبدايات الحب التي تتسلل لتخدر النفس وتسرقها مما حولها؛ هنا ابتسم خليل وأكمل طريقه نحو كوخه تاركًا معتز في عالمه الجديد لكن تلك الليلة لم تقرر تركه وشأنه فسرعان ما توقفت سيارة كهربائية

أمام كوخه واستدعاه سائقها للقاء السيدة داليا وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل مما أثار القلق والتساؤلات في نفسه واستطاع إخراجه من عالمه الموازي المليء بالحب وإعادته لأرض الواقع في ثوان معدودة .

كانت داليا تسكن في فيلا فخمة بأطراف الجنة؛ ولم يكن معتز قد رآها من قبل فهي في منطقة خاصة يحيطها سور وحراس وبها فيلا أخرى يسكنها عاصم؛ جلس الشاب منتظرًا المرأة التي استدعته في تلك الساعة المتأخرة من الليل مستغلة سلطتها المطلقة في جنة لوتس هانم؛ لكنها لم تبد متسلطة أو متكبرة كعادتها بل بدت ودودة وهبطت إليه درجات السلم مرتدية روب منزلي مما أعطاه انطباعًا عما تريده منه لكنه حاول الهروب من تلك الفكرة فهي امرأة شريرة من وجهة نظره تكبره بما يزيد عن عشرة أعوام ولا تروقه أبدًا وهو للتو قد وجد من الحب الذي ظن أنه لن

يطرق بابه أبدًا؛ لكن أنوثتها الطاغية التي أجادت إظهارها كانت تراود عينيه بقوة (ظننتك ستكون سعيدًا عندما أدعوك لمنزلي) قالتها المرأة مباشرة لتتبين مشاعر الشاب الذي قال (بصراحة أنا لا أدري سبب استدعائك لي) تقطب داليا حاجبيها وتقول(هناك فرق بين الدعوة والاستدعاء .. أنت هنا الآن بشكل غير رسمي .. فأنت تعمل هنا منذ فترة ولم نتعرف بالشكل المناسب) قالتها ثم وقفت تتناول زجاجة خمر وكأسين وجلست بشكل أقرب منه تصب له كأسًا وناولته له فرفض بإشارة من يده وقال (أنا رجل رياضي ومعاقرة الخمر هي النهاية بالنسبة لي) تظهر الدهشة على ملامح داليا وتقول (أنت الآن مجرد مدرب .. كنت رياضيًا بالماضي .. أتعرف أن لي أصدقاء بنادي القمة الذي كنت تلعب فيه .. أصدقاء في مناصب قيادية وهم لم يسمعوا بك أبدًا .. ترى ما السبب) هنا يمتقع وجه معتز وكأنه يختنق ويقول محاولًا تبرير موقفه (أنا لم ألعب فعليًا أنا فقط انضممت للنادي ثم أصبت و) تنفجر داليا ضاحكة وتشرب

كأسها بجرعة واحدة ثم تقول (أتظنني الآطفال كي تخبرهم تلك القصة الساذجة .. اطمئن أنا لا أفشي أسرار من أحبهم .. إن كانوا يبادلونني المحبة) يخيم الصمت على معتز وكأنه شخص يمر بين وحوش نائمة فلم يصدر حتى صوتًا لأنفاسه ولم يتحرك فهو لم يكن يتخيل أن تعرف داليا سره وتبتزه من خلاله؛ هي أكذوبة أجبرته صاحبة الجنة على قولها لكل من بالمكان لكي يقتنع الأطفال بها؛ فهم لم يكونوا سيرضوا إلا بمدرب يحسون بقيمته ونادي الأقاليم الذي كان يلعب به معتز لم يكن سيرضي غرورهم؛ فاتفق مع لوتس أن يقول أنه أصيب في حادث بعد انضمامه لنادي القمة والحقيقة أنه كان سينضم فعلًا للنادي لولا إصابته في الحادث الذي دهسه وهو في أول طريق الحلم .. لم يدر ماذا سيفعل فالطرد الفوري من جنة لوتس هو عقوبة إفشاء ذلك السر ؛ لاحظت داليا شروده فارتسمت على شفتيها ابتسامة زهو وانتصار بعدما لمحت الرضوخ في عينيه فهو لن يخاطر بفقد مكانه في الجنة؛ لكن رنين الهاتف المحمول الذي حمل

استدعاء لوتس لداليا فورًا أنقذ معتز من براثنها في تلك الليلة .. لكنها قبل أن تنصرف ملبية نداء صاحبة الجنة وتتركه يعود لكوخه ضاعفت من حسرته وهمومه بقولها (أنا لا أريدك أن تتقرب أكثر من ذلك من تلك المعلمة .. يجب أن تعرف أنني غيورة جدًا .. وأن اقترابك منها خطر كبير عليها فغيرتي بلا حدود .. ويمكنني افتراسها كأفعى تلتهم عصفورة صغيرة) كان تشبيهًا بليغًا ودقيقًا في ذات الوقت فكم كانت داليا أفعى في نظر معتز وكانت سهى عصفورة صغيرة بريئة .

(لا أحد يمشط شعري مثلك يا داليا .. خادماتي يؤلمنني كلما حاولن أن يفعلن ذلك) قالتها لوتس الجالسة أمام مرآتها لداليا وهي تناولها مشطًا عاجيًا والخادمات يقفن في توتر شديد فتشير لهن داليا بالانصراف وتشرع في تمشيط شعر صاحبة الجنة التي تتمطأ بنشوة عندما تنهي داليا تمشيط شعرها وتبدأ في تدليك كتفيها وهى تنظر لصورتهن

في المرآة وتقول (أخاف أن يجعلك تدليلي ترفضين جميع خادماتك) هنا تتناول لوتس سيجارة رفيعة وتشعلها وتقول (لكنك تسعدين بخدمتي أليس كذلك) تبتسم داليا بدورها وتلتقط سيجارة وتشعلها هى الأخرى وتقول(وكيف لا وقد أنقذتني من غياهب الفقر وجعلتني أميرة متوجة إلى جوارك يا ملكة .. كما أنني أستمتع برؤية عبقريتك في إدارة كل شئ حولك) تقهقه لوتس بسعادة وتقول (كم أعشق عرفانك بالجميل .. ونفاقك الجميل) ترسم داليا نظرة إنكار تمثيلية على ملامحها وتقول (ولماذا أنافقك يا صاحبة الجنة .. الكل يشهد بذلك) يطرب نفاق داليا مسامع لوتس فيرتسم الرضا على وجهها كطفل تناول وجبة دافئة في شتاء قارص البرودة وتشرد للحظة ثم تنقلب ملامحها للجدية فجأة وتقول (ماذا تريدين من الشاب الرياضي؟) هنا يكفهر وجه داليا وتتوتر ملامحها وقبل أن تقول شيئًا تعاجلها لوتس بقولها (أنتِ حرة ولكن لا تجعلينا نستبدله قريبًا إن استطعت فالصغار يحبونه كثيرًا) هنا تتحول ملامح داليا إلى الفرحة العارمة

وتحتضن لوتس ثم تساعدها على الدخول لفراشها وتغطيها بملاءة بيضاء مطرزة الحواف وتطبع قبلة على جبينها وكأنها ابنة بارة تودع أمها الفراش .

(في هذا العالم .. المبادئ بدون حكمة خطر قاتل) قالها خليل لمعتز الذي قصده بعد زيارته لداليا ليستشيره في ما حدث وهو حريص على عدم الإفصاح عن طبيعة الأمر فأخبره أن هناك شيئ مخالف لمبادئه لكن عدم فعله له سيسبب له خسائر وأضرار جسيمة (ألا تريد أن تقص لي طبيعة الشيء الذي يحيرك ربما ساعدتك أكثر؟) يهزّ معتز رأسه وهو غارق في شروده فيقول خليل (هناك نوعان من الخسائر حقيقية ووهمية .. الخسائر الحقيقية هي تلك التي نفقد فيها إنسانيتنا أو من يحبوننا ونحبهم بصدق .. أما الخسائر الوهمية فهي تلك الماديات القابلة للتعويض مهما علت قيمتها أو الأشخاص الزائفون الذين تكشفت لنا

حقيقتهم فخسارة هذه الأشياء غالبًا ما يكون مكسبًا وليس خسارة كما نظن) هنا تتسع حدقتا معتز ويقول وهو واجم (أنا أفكر في الخروج من الجنة) يقهقه خليل وهو يصب قهوته في الفنجان ويقول (إذن فأنت تحتاج إلى معصية كبيرة وإلى حواء تصطحبك في رحلة الشقاء المقبلة) يخرج معتز من وجومه ويبتسم فجأة ويقول (أهذا وقت المزاح؟!) وهنا يرتشف خليل رشفة من قهوته ويظهر التلذذ على ملامحه ويقول (لقد خسرت الكثير بالفعل عندما رفضت أن أحضر لك فنجان قهوة معي فهي رائعة جدًا .. أنا لا أمزح بشأن القهوة .. والخروج من الجنة) .

لم تستطع سهى مقاومة الفضول وخاصة أن دوافعها الإنسانية كانت ممتزجة بهِ؛ فكان أول شيء فعلته في الصباح هو الاتصال بسائق السيارة الكهربائية الذي تعجب من طلبها زيارة منازل العاملين في الجنة؛ في أول الأمر توقف أمام

بنايات عادية تنمُّ عن توسط حال ساكنيها (هنا أسكن أنا والكثير من العاملين) قالها السائق وهو يحاول رسم نظرة فتور على وجهه ليحثَّ سهى على إنهاء تلك المغامرة الغير مفهومة المعنى بالنسبة له (أيسكن مئات العاملين هنا .. تلك المباني بالكاد تستوعب عشرين أسرة) هنا يظهر انعدام الحيلة على وجه السائق ويطلق زفرة خاطفة ثم يقود السيارة مرة أخرى دون أن ينطق؛ لكن رحلتهما طالت هذه المرة فقد كانت منازل أغلبية العاملين في أطراف الأطراف من الجنة؛ كانت صورة متجسدة للفقر والشقاء بمبانيها طينية الجدران ذات الأسقف المصنوعة من جذوع النخيل والأشجار وكان سكانها أفضل تعبير عن منازلهم؛ أطفال متسخون شبه عرايا ووجوه بائسة لأشخاص يرتدون ملابس بالية؛ كانت ابتسامات البعض لرؤية سهى تظهر غريبة على ملامحهم التي ربما لم تتعود الابتسام ..

(أريد أن أؤسس فصولًا لتعليم أبناء العاملين هنا ) قالتها سهى بحماسة شديدة وهي تقف في مشتل الزهور بينما كانت داليا تساعد لوتس بتركيز شديد في العناية بأزهارها النادرة داخل الصوبة الزجاجية؛ همت داليا بالحديث باندفاع فأسكتتها لوتس بإشارة من يدها وأكملت تقليمها لأوراق النباتات وهي تقول دون التفات لمحدثتها (ومن سيتحمل تكاليف تلك الفصول؟) تظهر خيبة الأمل على وجه سهى لكنها سرعان ما تقول (من جانبي سأعمل فيها بالمجان) هنا تبتسم داليا وتشعل سيجارة فتمسكها لوتس تدهسها بقدمها على الأرض وتقول (قد تؤذي النباتات يا داليا .. أنزعت الرحمة من قلبك يا امرأة .. إذنْ عزيزتي سهى فأنت على استعداد لتعليم أبناء عاملينا الكثيرين مجانًا .. أمستعدة إذن لتعليم أبنائنا القلائل مجانًا أيضًا .. أم أن إحسانك لا يشملهم) هنا يمتقع وجه سهى وقبل أن ترد تقول لوتس ( أعرف أنك تريدين أن تظلي تتقاضين منا راتبك الخرافي ثم تحسنين إليهم في وقت فراغك .. ولكنك

تؤدين لهم تلك الخدمة على حسابي وليس على حسابك فأنا أمنحك ما يجعلك ثرية .. فإن كنت تريدين الإحسان الحقيقي فيجب أن تتخلي عن ثرائك بل وتعيشين معهم في منازلهم وتتركي استراحتك الفخمة .. هنا فقط تكونين محسنة لهم) يزداد احمرار وجنتي سهى وتقول (أنا فقط أريد مساعدتهم) هنا تضع لوتس يدها على كتف سهى وتقودها لخارج المشتل لتقفان أمام الأراضي الخضراء المزروعة (هذا هو إنجازهم .. كل هذا العمار والخضار .. لو علمناهم لتركوا الأرض تبور .. وهجروا الفؤوس والعرق باحثين عن الرفاهية ومبردات الهواء .. مساعدتك لهم هي تركهم يعمرون الأرض ويخضرونها) تتسع حدقتا سهى من قوة منطق لوتس لكنها سرعان ما تفيق من دهشتها لتقول (سيرحل الكثيرون منهم ربما .. لكن من سيبقى سيعمر تلك الأرض وأكثر بسهولة ويستخدم الماكينات الحديثة فيها .. أأنت تخافين من زيادة التكاليف بشراء الماكينات ودفع أجور منصفة للعاملين يا سيدتي؟ ) هنا يرتسم الوجوم على وجه لوتس وتتفرس في

ملامح سهى وتظهر داليا التي كانت تقف على بعد خطوات منهما وتقول (إن صاحبة الجنة لا تبخل أبدًا على العاملين لديها .. لكن عددهم كبير والأراضي الصفراء واسعة والموارد أقل من التكاليف دائمًا .. لكنها دوما تدفع الفرق من مالها الخاص .. وذلك من نبل أخلاقها وكرمها الشديد .. أنصحك في التركيز على تدريسك للصغار.. ولا أظن أن إصابة قدمك ستمنعك من تأديته فها أنت قد جبت الجنة كلها وقدمك مصابة) تكتشف سهى سذاجتها التي قادتها لمحاولة إقناع امرأة مثل لوتس بتغيير أوضاع العاملين لديها فمن الواضح دون نقاش أن تلك سياستها في إدارة المكان الذي ينم كل ما فيه عن ثراء فاحش في حين يتجلى الفقر في منازل عمالها .. وها هي ستعود للعمل مجبرة رغم إصابتها جزاء محاولتها البطولية لتغيير واقع جنة لوتس .. التي بائت بفشل ذريع .. انسحبت سهى واستقلت السيارة الكهربائية التي ابتعدت بها عن المرأتين اللتين ظلتا تراقبان انصرافها في صمت ثم

تبادلتا نظرة حنق سرعان ما طغت عليها ضحكات الاستهزاء بتلك الشابة التي انصرفت تجر أذيال الخيبة.

ازداد الألم في قدم سهى بعد رحلتها في أرجاء الجنة؛ لكن تعجبها هي وخليل من تأخر معتز عن موعد جلستهما العلاجية كان أكبر من ألمها وظلت تتبادل نظرات الحيرة الصامتة مع خليل لدقائق وحين همت بأن تقول شيئًا دوت الطرقات على بابها لتتلاشى نظرة الحزن من عينيها ويغمرها الفرح وتكاد تطير رغم سيرها تقريبًا بقدم واحدة لفتح الباب؛ لكن الفتور الظاهر على وجه معتز كان بمثابة جبل ظهر فجأة في وجه طير منطلق في السماء؛ لم تدر سهى ما سبب هذا الفتور على وجه معتز ولم تسأله مباشرة عن السبب لكنها كبتت رغبتها في سؤالها على مضض حتى بدأ معتز جلستهما العلاجية فقالت (أنا آسفة على إهدار وقتك في علاجي يا كابتن معتز.. أهناك أطباء علاج طبيعي في الجنة يا

دكتور خليل؟) يفاجأ الرجل بأن السؤال موجه له رغم أن الجملة لا هدف لها إلا الشاب الرياضي فيستدرك ثم يقول (أظن هناك العديد من الأطباء يسكنون في فيلا قريبة من قصر صاحبة الجنة وهم يهتمون بها وبمن تشاء .. ولا أظنها سترفض إن طلبتِ منها توفير أحدهم لعلاجك) يرمق معتز خليل بنظرة نارية ثم يواصل تدليك قدم سهى ويقول (أنا لم أشتكِ .. ولدي متسع من الوقت) هنا تقول سهى باندفاع (لكنك تأخرت عن موعدنا وأتيت واجمًا) يترك معتز قدم الشابة ويقول (أتأخيري لعدة دقائق وبعض الفتور في ملامحي يجعلاك تشعرين أنني مستاء من علاجك؟) هنا تعقد سهى حاجبيها وتقول (تأخرت لأكثر من نصف ساعة .. وما سبب وجومك على كل الأحوال؟ .. أحك لنا فنحن أصدقاء) هنا يمط الشاب شفتيه ويعود للإمساك بقدم الشابة ويقول (الإرهاق في التدريب كان سبب تأخري وهو سبب وجومي أيضًا) هنا تطلق سهى زفرة حنق وتقول (لست مقتنعة) هنا يبتسم معتز ويقول (ما جدوى الجدال مع امرأة

.. هي ستظل مقتنعة برأيها مهما حدث .. لقد أخرجت أولى نصائحها البشرية بأكملها من الجنة .. ولم تفكر في التوقف عن توجيه النصائح حتى يومنا هذا) يتزايد الحنق على ملامح سهى للحظة لكنها سرعان ما تجد ردًا مفحمًا فتتغير ملامحها للسعادة وهي تقول: (وما جدوى محاولة إقناع الرجل بأنه يتخذ قرارات خاطئة بعدما اتخذ ذلك القرار الذي أخرجنا من الجنة ومازال مصرًا أنه لا يخطئ في أي قرار يتخذه) هنا ينفجر خليل ضاحكًا ويقول (إذن فهما يحتاجان لجنس آخر ليسدي لهما النصح ويرشدهم للقرارات الصحيحة) يسود الصمت للحظة بعد جملة خليل لكن الثلاثة ينفجرون ضاحكين ويهدأ التوتر الذي كان يسود الموقف؛ ولم تحاول سهى الضغط على معتز لمعرفة سبب وجومه الحقيقي أكثر في تلك الليلة؛ فقد آثرت تركه يخبرها بنفسه دون ضغوط؛ كما أنها كانت مرهقة لدرجة جعلتها تأوي لفراشها فور أن انصرف الرجلان من كوخها دون أن تقضي وقتها المعتاد في القراءة ككل ليلة .. لكنها لم تنعم

بالنوم الهادىء الذي كانت تتوق إليه فهناك صوت حركة في كوخها جعلها تفتح عينيها فجأة لتتبين شخصًا يسير في حجرتها ثم يجلس بهدوء على الأريكة مستترًا بالظلام الذي يكتنف المكان ويحوله إلى ظل أسود .. ضغطت الشابة زر الإضاءة المجاور لسريرها بفزع لتتأكد أن هناك شخصًا في حجرتها .. وكم صدمها وجه ذلك الشخص؛ فقد جسد في عقلها فكرة مرعبة عن المصير الذي ينتظرها في الجنة التي في الصحراء .

# الفصل الثاني

# ذئاب وقطط

**( لا تتعجبي فأنا أملك مفاتيح أغلب الأبواب ؛ والأبواب النادرة التي لا أملك مفتاحًا لها .. يفتحها أصحابها طوعًا حين أفكر بالتوجه إليها ويقابلونني بالابتسامات .. ربما أحيانًا كانت ابتسامات زائفة ليغطوا خوفهم مني .. لكن لا بأس بذلك .. لا عيب في أن يكون المرء مهابًا) ظلت سهى**

المنكمشة في ركن الغرفة تحدق في قائل تلك الجملة المغطى بالظلام وتحاول أن تتعرف عليه من ملامحه بعد أن فشلت على التعرف عليه من صوته؛ كانت نبراته هادئه جدًا بشكل أزال عنها الفزع لكنها ظلت حذرة وممسكة بمقص كبير التقطته يدها وهي تقفز من سريرها لركن كوخها؛ هدأ صوت أنفاسها المتصاعد مع تبينها استقرار محدثها في مكانه وقالت بعد أن ابتلعت ريقها بصعوبة (إذا لم تغادر غرفتي فورًا .. فسأصرخ) هنا يمد الجالس يده ليشغل إضاءة خافتة كان زرها قريبًا منه ليظهر وجهًا توارت عيناه كالمعتاد خلف نظارة شمسية رغم ظلمة الليل مفجرًا بركان دهشة في نفس سهى التي قالت بفزع (ماذا تفعل هنا يا سيد عاصم؟) يبتسم الرجل الضخم ويقول ببرود ولهجة حازمة (ما كل هذه الكتب؟) تشعر الشابة أنها وضعت في قفص اتهام فجأة وتقول بعد أن أرخت يدها الممسكة بالمقص (وما شأن عملي لديكم بهوايتي للقراءة) قالتها الشابة بضعف لكنها سرعان ما استدركت وقالت بحنق (وكيف تدخل غرفتي في جنح

الليل بدون استئذان؟) يشعل عاصم سيجارة وينفث دخانها بهدوء ويقول (أنت معلمة الصغار وما تقرئينه بالتأكيد سيؤثر عليهم .. وأنا كما قلت لك أملك مفاتيح أغلب الأبواب بحكم سلطتي كحامي الجنة .. ولا أظنك تمانعين زيارتي وخاصة ونحن نتشارك شيئًا مهمًا وحدنا) ترتبك الشابة للحظة وقبل أن ترد يبادرها عاصم بقوله ( لا تحتاري .. نحن نتشارك سرك أيتها السورية سوداء الشعر .. التي أتتنا كلبنانية شقراء) تجز الشابة على أسنانها بغضب وتقول (أنت من أخبرت من وظفني أن أفعل هذا) يقطب عاصم حاجبيه ويبتسم قائلًا (ألديك إثبات على ما تقولينه .. بالطبع لا .. وإن أبلغت عنك سيزج بك في السجن لأعوام طويلة) هنا يظهر التوتر على ملامح الشابة وتقول (ماذا تريد مني ولماذا تهددني؟!) هنا يرسم الرجل نظرة براءة مصطنعة على وجهه ويقول (أهددك .. من قال هذا .. أنا فقط أرد على كلامك .. أما ما أريده منك فأنت بالتأكيد تعرفينه .. أريد نفس ما كان الدكتور خليل يأخذه منك عندما غادر

كوخك قرب شروق الشمس منذ عدة ليال) هنا تتسع حدقتا الشابة وتقول بصوت مرتعش (أنا لم أعط أحدًا أي شيء .. إنه جار كان يمر مصادفة وألقى التحية وانصرف) ينفجر عاصم ضاحكًا بشكل مستفز ويقول (جار كان يمر مصادفة .. أتظنّينني أحمقًا أيتها الخرقاء؟) يقف عاصم ويسير نحو سهى التي ارتعشت للحظة ثم رفعت يدها الممسكة بالمقص لكن ذلك لم يمنع عاصم من الاقتراب بثقة وتقريب وجهه من وجهها وهو يقول بحزم وتسلط (أنا أحب افتراس طرائدي برغبتها الكاملة .. أمامك يومان لنزع تلك البراءة الزائفة عن كلماتك وتلك الثياب عن جسدك الجميل) لم تدر سهى مغمضة العينين من الخوف أن عاصم انصرف وأن كابوس اليقظة هذا انتهى إلا عندما سمعت صوت إغلاقه لباب الكوخ ففتحت عينيها ثم نظرت للمقص في يدها المرتعشة وظلت تطلق أنات بصوت خفيض ودمعة ساخنة تنساب على وجنتها .

(أيحبُّني الجميع؟) قالتها لوتس المتمددة على الأريكة وانتظرت الإجابة بلهفة من خليل الذي أعد فنجاني قهوة ناول أحدهما للمرأة وجلس يرتشف رشفة بتلذذ واضح من الآخر فقالت له لوتس (أنت تعشق القهوة .. بشكل عجيب!) يمط الرجل شفتيه ويقول (لأنها تعيد لي عقلي كلما أراد الهروب من عالمي الغارق في الفوضى .. وتظل تؤكد لروحي أن ما حولي مجرد رحلة مؤقتة ستنتهي يومًا ما) تعقد المراة حاجبيها وتقول باستنكار (كل هذا تشعر به من فنجان قهوة؟!) يبتسم الرجل ويقول متجاهلًا استنكارها (دعك مني ولنعد لجلستنا .. لماذا تهتمين بحب الجميع لك؟) تشعل لوتس سيجارة وتقول وهي ترسم دوائرًا بدخانها (إن فكرة حب الجميع لي هي ما يمنحني نومًا هانئًا في المساء .. أتعرف إن امتلاكك كل شيء مجرد جبل يلقى على كاهلك .. وأنه كلما تقل ممتلكاتك كلما قلت أعباؤك .. أنا أحسد من لا يملكون أي شيء فأولئك الذين يستطيعون النوم بمجرد

وضع رؤوسهم على الوسادة) يقهقه خليل بطفولية ويقول (وماذا إن كانوا لا يملكون حتى وسادة ليضعوا رؤوسهم عليها .. أتخدرين ضميرك بفكرة وهمية يا امرأة .. أتحرمين كل من حولك من كل شيء وتتوهمين أنهم يرتاحون من أعباء الامتلاك ويغطون في نوم عميق كل ليلة .. وماذا عن شقائهم في ضوء النهار .. ألا تفكرين به .. ألا يثقلك هذا بالهموم؟!) تتسع حدقتا لوتس بفزع وتقول (أيكرهني الجميع؟ .. أتكرهني أنت؟!) يرتشف خليل رشفته الأخيرة من فنجان القهوة ويضعه جانبًا ويقول (إن كنت مشغولة بحب الجميع لك .. فحاولي الترفية عنهم ومنحهم حياة كريمة) يظهر التفكير على ملامح المرأة وتقول وهي شاردة العينين (أنا أشعر في بعض الأوقات أنني مجرد حيوان .. أو وحش مفترس يقوده تعطشه للدماء .. أأنا حيوان مفترس أم إنسان رحيم؟) يهز الرجل رأسه ويقول (كانوا يظنون أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو العقل والتفكير ؛ والحقيقة هي أن الحيوانات عاقلة وتفكر ولكن بشكل مختلف عن الإنسان

فالحيوان له طبيعة لا يستطيع مخالفتها ولا اختيار له في تصرفاته فهي محفورة بداخله ينفذها كأوامر ثابتة لا مخالفة لها .. وظنوا أن الفرق هو الضمير قبل أن يروا مفترسات تنقذ صغار فرائسها بدافع من ضميرها أو كلبًا ينقذ قطة من الغرق .. إن الفرق الجوهري بين الإنسان والحيوان هو حرية الاختيار أو "الإرادة الحرة" والتي بها يستطيع الإنسان الترقي إلى درجات الملائكة وربما أعلى وبها أيضًا قد يهبط إلى الدرك الأسفل من الحيوانية أو يصبح نسخة من الشيطان؛ لهذا فالحكام الذين يسلبون شعوبهم إرادتها الحرة يحولون بلدانهم إلى حديقة حيوان من البشر) أنهى خليل جملته ثم وقف متجهًا لباب الغرفة فاستوقفته لوتس قائلة (لماذا تنصرف؟) يقف الرجل دون أن يلتفت لها ويقول (لا أظننا سنستطيع الوصول إلى أي جديد اليوم .. فلنكمل في يوم آخر ) غادر الرجل لكن المرأة ظلت تحدق في سقف الغرفة لساعات طويلة باحثة عن طريقة تغرس حبها في نفوس الجميع .

تعجبت الشمس التي كانت تستعد للرحيل مما رأت في حين وقفت داليا تتابع الاستعدادات الضخمة لعيد ميلاد الطفلة هنا وهي تتعجب من المقاعد المتراصة إلى ما لانهاية وخشبة المسرح التي شيدت كممر بينها .. وتلال الطعام التي ظل الخدم ينقلونها إلى الطاولات ؛ كادت الحيرة تفتك بالمرأة لكن صوت عاصم الآتي من خلفها أنقذها بقوله (هي تريد أن تسعد الجميع) تقهقه المرأة فيشاركها عاصم الضحكات ويقول وهو يحاول كتم ضحكاته (إياك أن تشعريها أنك تسخرين مما تفعله .. فتلك نهاية مفاجئة لوجودك في جنتها) هنا تتلاشى الضحكات من على وجه داليا وكأنها نقطة ماء تبخرت في صيف شديد الحرارة .. تتبدل ملامح المرأة إلى الجدية ثم تسير متجهة للقصر وتصعد لغرفة لوتس لتصدم بها وهي جالسة أمام المرآة بعد أن ارتدت زي مهرج وغطت وجهها بالأصباغ كالمهرجين فكادت تنفجر داليا ضاحكة لكنها كتمت مشاعرها بسرعة وابتسمت للوتس

ابتسامة واسعة فحدقت المراة في وجهها للحظة ثم عادت للنظر في المرآة مستكملة وضع الأصباغ على وجهها .

كانت الأضواء مبهرة للجميع ؛ لدرجة أخرجت من ذهني معتز وسهى المخاطر التي تواجه كلًا منهما للحظة لكن أعينهما سرعان ما تهربت من التلاقي حين تذكرا التهديدات؛ كان الشاب يخاف على حبيبته من تلك الأفعى داليا وكانت الشابة تخاف من كل شيء حولها وتتمنى انشقاق الأرض وابتلاعها بكل ما فيها من خوف ومآسي ظلت تلاحقها حتى في جنة لوتس تلك المرأة التي خرجت على الجميع مرتدية زي المهرج ومغطية وجهها بالأصباغ وعلى رأسها قطعة قماش حمراء فلم يعد أحد يدري أهي من خلفه أم سواها؛ بل لم يدر أحد أرجل أم امرأة يرتديه؛ لم تكن المراة تسير وحدها بل كانت حولها فرقة استعراضية تؤدي عرضًا كلاسيكيًا ومطربة تغني أنشودة عن الحنين إلى الوطن؛ انبهر جمهور

العمال للحظة لكن عيونهم سرعان ما عادت للتحديق في تلال الطعام والتي سرعان ما تلاشت عندما أعطوا الأمر بالتوجه لها فانقضوا عليها كجيش من النمل يغزو كومة سكر..

ظل خليل يتأمل ما يجري والأسى يكسو جبينه ؛ أما داليا وعاصم فقد رسما أكبر ابتسامة ممكنة كلما مرت عين لوتس عليهم؛ أما الأطفال فظلوا يلوحون للمهرج بسعادة فظلت لوتس تبهرهم بألعاب سحرية وحركات بهلوانية وفي زخم المشهد ينطلق عواء كأنه رعد فاجأ سكون ليلة هادئة .. التفت الجميع لمصدر العواء ليروا قطيعًا من عشرات الذئاب يقترب من بعيد نحوهم غير عابئ بالعدد الضخم من الناس .. غزا الخوف والفزع ملامح الجميع لكن عاصم أخرج مسدسه وأطلق عدة طلقات تحذيرية في الهواء ليسود الهرج الموقف ويعدو الجميع في كل الاتجاهات بعدما واصلت

الذئاب طريقها نحوهم غير عابئة بصوت الطلقات؛ هنا يعتلي عاصم ورجاله خشبة المسرح المرتفعة ويحاوطون لوتس والصغار ويبدئون في إطلاق النيران بكثافة على الذئاب لتسقط ويسقط معها العديد من الأبرياء الذين أوقعتهم حظوظهم العاثرة في طريقها؛ في تلك الليلة الدموية سقط العديد من الذئاب وسقط عددٌ أكبر من الأبرياء .. لكن وعند بزوغ الفجر كانت الذئاب اتخذت قرارها بالانسحاب ..

حطمت لوتس مرآتها رغبة منها في تحطيم وجه المهرج الظاهر فيها مبتسمًا فيها وكأنه يسخر منها ثم جلست تحاول مسح الأصباغ بيدها فدخل عاصم الغرفة وتبعته داليا فنظرت لهم لوتس بعينين دامعتين وقالت (لم تكن الذئاب ستتجرأ على أن تخطو داخل جنتي لو لم أرتدي زي المهرج) عقدت داليا حاجبيها محاولة إدراك العلاقة بين

الأمرين في حين توجه عاصم للنافذة وراقب العمال وهم يزيلون آثار المعركة التي حدثت في حديقة القصر ثم قال (تلك الذئاب ستعود غدًا .. ذلك القطيع الضخم لم يكن إلا مجرد فرقة استطلاع .. الليلة تهاجمنا جيوش من الذئاب) كانت تلك الجملة كفيلة بأن ترتمي داليا على أحد المقاعد وتدفن لوتس وجهها بين كفيها وتقول (ما كان يجب أن أهدم سور هيبتي محاولة كسب محبة هؤلاء الحمقى ) يربت عاصم على كتف لوتس فيتبادلا نظرة تبعث في نفس لوتس الاطمئنان فتقول (ماذا ستفعل؟) هنا يمط عاصم شفتيه ويقول (للأسف لابدَّ من تسليح الجميع) وهنا عادت لوتس لدفن وجهها بين كفيها مرة أخرى .

انهمك خليل هو ومعتز وسهى وهم يتفقدون المصابين ويحاولون مساعدة المسعفين؛ كانت الشابة تزداد انهيارًا كلما فارق أحد الجرحى الحياة أو وجدت طفلًا يتألم من

جروحه (إن معظم الإصابات من رصاص الحراس .. لقد آذوا أكثر مما آذى الذئاب .. يالهم من حمقى!) قالها معتز حانقًا بعد أن أغمض عيني امرأة فارقت الحياة استند خليل على جذوع أحد الأشجار وقال (لا يعبأ الحراس كم عدد الضحايا طالما أتموا مهمتهم بنجاح) هنا جلست سهى على الأرض وقالت (وماذا كانت مهمتهم حماية المباني!) هنا ينطلق صوت عاصم من خلفها قائلًا (بل حماية الأغلبية) هنا يقول معتز (لماذا إذنْ كانوا يحيطون بصاحبة الجنة وصغارها طوال الوقت ولم يتقدموا لحماية الناس؟) هنا تظهر داليا وتقول بطيبة كبيرة (كان عدد الناس كبيرًا ويحول بينهم وبين الذئاب وكان لابد من أن يعتلوا مكانًا مرتفعًا ليتمكنوا من إصابة الذئاب) تعجب خليل من الأسلوب الراقي الخالي من التعجرف واللهجة الآمرة في صوتي عاصم وداليا فتأملهما للحظة ثم قال (أستعود الذئاب الليلة؟) يتبادل الجميع نظرات الحيرة مما قاله خليل وقبل أن يرد عليه عاصم يشير له خليل بالصمت ويقول (أنت تريد

مساعدتنا في إقناع الجميع بحمل السلاح ومواجهة الذئاب والوقوف في الصفوف الأمامية بدلًا من رجالك .. موقف صعب .. فأنتم تنعمون في الجنة التي تطالبونهم بالدفاع عنها رغم شقائهم فيها .. إن طلبنا منهم سيلاقي قبولًا أكبر وأسرع من طلبكم في النهاية هم يعتبروننا منهم .. بينما يعتبرونكم من أسيادهم المرفهين .. كما أنهم لن يصدقوا عيونكم التي تعودوا على رؤية التعالي والتجاهل فيها حين يملأها الرجاء والاهتمام) يصمت عاصم للحظة يتجمد جسده فيها كالصنم ثم يقول (لا تنس أنك تنعم بخيرات الجنة أنت ورفاقك مثلنا) يصمت الجميع للحظة وفجأة يقهقه معتز فيتعجب الجميع فيعتذر لهم ويقول (اعذروني لم أستطع منع نفسي من الضحك .. أتعرف يا سيد عاصم رغم كوننا نحيا في كوخ خشبي وليس في فيلا فارهة كفيلتك إلا أن حالنا أفضل من هؤلاء الناس بكثير فعلًا .. ربما فرق المستوى بيننا وبينهم هو نفس الفرق بيننا وبينكم .. تستطيع القول أننا نقطة المنتصف بين السادة والمطحونين)

هنا تتدخل داليا قائلة (هذا ليس وقت التفلسف والجدال أيها السادة .. نحن في أزمة حقيقية وكل ثانية ستؤثر على مجريات الأمور) تمسح سهى دمعة انسابت على وجنتها وتقول (أتريدنا أن نحث الناس على حمل السلاح وهم لم يدفنوا قتلاهم إلى الآن؟!) هنا يدير عاصم ظهره للجميع ويقول بصوت رخيم حازم مليء بالغضب (لو لم يفعلوا حالًا .. ربما لن نجد ليلة الغد من يواري الجميع تحت التراب) هنا تتسع أحداق الجميع وينتهي التفلسف والجدال.

(هذه جنتكم أنتم .. التي تمتزج ذرات أرضها بعرقكم .. ربما لستم أسعد الناس فيها .. وربما لا تحمل اسم أيًّا منكم ولا تمتلكون فيها شبرًا من الأرض .. لكنها بدونكم مجرد مدينة للأشباح لا معنى لها .. أنتم روح هذه الجنة وبدونكم هي جثة بلا حياة .. إن في هذه الجنة ذكرياتكم وهي كل ما تملكون في هذه الدنيا .. فدافعوا عن كل ما تملكون) أنهى

خليل جملته الحماسية التي ظهر تأثيرها على العمال الذين بدؤوا يبتعدون عن منازلهم ويتجهون للحراس ليتناولوا منهم السلاح ويتعلمون منهم كيفية استعماله؛ ظهر الرضا على ملامح عاصم ودواليا اللذين وقفا عن بعد يراقبا الموقف في حين اتجه خليل لمعتز وسهى واستقلوا معًا سيارة كهربائية اتجهت بهم حيث أكواخهم لينالوا قسطًا من الراحة بعد تلك الليلة الدامية (لم أكن أتخيل أن تعلن الشمس انتهاء تلك الليلة) قالها معتز وقرص الشمس يشق طريق صعوده في السماء .. فربتَّ خليل على كتفه وقال (أتمنى أن نرى شمس يوم غد .. فربما لن يراها الكثيرون من أهل تلك الجنة المزعومة) هنا تفيق سهى من شرود تملكها لدقائق وتقول (ألم يكن من المفترض أن نحمل السلاح ونقف في أول الصفوف أيضًا .. بعدما شجعنا الجميع على حمله) يمط خليل شفتيه ويقول(من الواضح أنك لا ترين الصورة الكاملة يا أخت سهى .. نحن وإن كنا قابلين للاستبدال إلا أن قيمتنا كبيرة لديهم .. وخسارة أيًّا منا لهم خسارة فادحة

.. فلا تنخدعي بكونهم يصرون دائمًا على إشعارنا أننا بلا قيمة لديهم .. لو طلبنا حمل السلاح لمنعونا لسببين .. أولهما أنهم يخشون خسارتنا وثانيهما أن حملنا للسلاح يجعلنا قدوة حقيقية للجميع وهو شيئ لا يريدونه أيدًا .. فحينها يجب أن يحذون حذونا وهم لن يضحوا بأنفسهم طبعًا .. أو يضطروا لتركنا نسيطر على قلوب وعقول الناس.. وهذا أمر لن يسمحوا به) ينهي خليل جملته ويتبادل نظرة قصيرة مع معتز وسهى بدا فيها بركان من الكلمات التي تجول في نفوس كل منهم ولا تقال فيشيح كل منهم بوجهه عن الآخر ويصمتون ؛ هنا تصل السيارة الكهربائية لمكان الأكواخ فيهبط الثلاثة ويتجه كل منهم إلى كوخه دون كلمة أخرى .. فالثلاثة كانوا غارقين في مخاوفهم من الليلة المقبلة ..

***

كادت الشمس تنفجر فضولًا وهي تغادر جنة لوتس؛ بعد أن تراص أهل الجنة البسطاء ممسكين بأسلحتهم عند الأسوار ووقف الحراس مع كلاب الحراسة يشرفون عليهم ويتابع كل حارس مجموعة من الأهالي .. كان العمال سعداء باللين والرفق في معاملة الحراس الذين طالما كانوا جافين في نظراتهم وأوامرهم؛ وقف عاصم على تبة مرتفعة مع بعض حراسه ممسكًا بنظارة معظمة أصبحت بلا فائدة بعد أن أظلم المكان فألقاها جانبًا؛ لكن داليا سرعان ما وصلت حاملة نظارة أخرى مجهزة للرؤية الليلية؛ لم تستطع سهى الجلوس في كوخها ساكنة فخرجت منه حائرة الخطى لا تعرف إلى أين تتجه لتقصي الأخبار فوجدت صوتًا يناديها من الأعلى لتفاجأ بخليل ومعتز وهما جالسان فوق الكوخ فتعجبت وابتسمت فساعدها معتز على ارتقاء درجات السلم الخشبي لتجلس معهم وتراقب الموقف (الظلام يخفي كل شيئ .. لن نستطيع الرؤية) قالتها سهى بيأس فابتسم خليل وأشار لها بيده التي حركها كساحر يقوم بعرض

لجمهوره فبدأت النيران تشتعل في براميل وضعت على طول السور ليظهر الأهالي والحراس وهم واقفون على أهبة الاستعداد لمواجهة الذئاب إن فكرت في العودة (بالنسبة لنا الرؤية مهمة .. أما من يحرسون الأسوار فالأفضل لهم أن تغطيهم الظلمة .. لكن الذئاب تخشى النيران .. لذا كان لابدَّ وأن يشعلوا النيران) قالها معتز وهو يحدق بالأسوار فأحاطته نظرة إعجاب من عيني سهى لكنها سرعان ما حدقت بالأسوار مثله هي وخليل ..

طال انتظار الجميع للذئاب فقد اقترب الليل من منتصفه ولم يظهر أي شيئ .. بدأ الحراس والأهالي يسترخون وجلس عاصم مسترخيًا بعد وقوف طويل وبجواره داليا التي جلست تنفث دخان سيجارتها بلا مبالاة .. (ربما لن يحدث شيئ هذه الليلة) قالها خليل بفتور فعقد معتز حاجبيه وقال (وكأنك حزين على عدم ظهور الذئاب؟) هنا تقول سهى وتأنيب الضمير يظهر على ملامحها (للأسف .. التشويق في الأمر يجعلنا كمن يشاهدون فيلمًا .. لقد نسيت للحظة أننا

أمام مصير مظلم لمن سيواجهون الذئاب بدلًا عنا .. يالها من نفس بشرية تستطيع متابعة الحرب والدمار بتشوق طالما كانت في مأمن منهما) صمتوا للحظة فقال خليل وهو يتأهب للنزول من سطح الكوخ (أنا أحتاج لفنجان من القهوة .. ظلا هنا إن شئتما فلا أظن) هنا يقطع جملة خليل عواء ذئب شق سكون الليل كما تشق سكين حادة قالبًا من الزبد الطازج؛ يتسمر الجميع أماكنهم وكأنهم منحوتة على حائط صخري؛ وما هي إلا ثوان إلا ووقف عاصم مرة أخرى وبدأ يطلق أوامر التأهب للحراس فينقلونها للأهالي؛ واتجهت داليا لسيارة كهربائية عادت بها للقصر واتجهت حيث كانت صاحبة الجنة تقف خلف إحدى النوافذ لمراقبة الموقف بمساعدة نظارتها المعظمة ذات الرؤية الليلية (الذئاب عادت .. لكنها آلاف الذئاب هذه المرة) قالتها لوتس ثم نظرت لداليا التي تجلى الرعب على ملامحها ثم هرولت باتجاه لوتس لتمسك بالنظارة المعظمة وتراقب ما يجرى لكنها تفاجأ بلوتس التي تسير للجلوس على طاولة كبيرة بدأ الخدم

يضعون عليها عشاء فاخرًا (لقد أخرت عشائي طويلًا هذه الليلة .. شاركيني الطعام يا عزيزتي) قالتها لوتس بهدوء فما كان من داليا إلا أن اتجهت لتجلس قربها وتراقب نهم لوتس في تناول الطعام للحظة ثم تشاركها النهم وتقول (لن تنجح تلك الذئاب في إفقادنا شهيتنا .. كم أنت عبقرية يا صاحبة الجنة) تهز لوتس رأسها برضى وتواصل الأكل .. كما واصلت الذئاب نهش أجساد أهالى جنتها في تلك الليلة ..

عادت الشمس لتصدم بالخراب الذي سببته الذئاب وقت غيابها .. لكن الأمر المفرح هو انتصار الأهالي عليها وقضاؤهم على معظم الذئاب في حين عاد القليل منهم من حيث جاؤوا .. (هناك ثلاثة ذئاب مصابين في أرجلهم .. ولم يتمكنوا من الهرب) قالها عاصم للوتس التي جلست في كرمة العنب تتناول قطع الفاكهة كعادتها فقالت للرجل دون أن تبعد عينيها عن طبق الفاكهة (عالجوهم .. وضعوهم في أحد

الأقفاص التي نضع فيها كلاب الحراسة) تظهر الدهشة على وجه عاصم ويقول (أتريدننا أن نستدعي أخصائيًا ليعرف سبب الشجاعة المفرطة التي انتباتها) تبتسم المرأة وتنظر لعاصم وتقول (أنا أعرف سبب جرأتها على جنة أسيادها .. أنا فقط أريد ترويض الذئاب) ..

استطاعت دفعات مضاعفة من اللحوم رسم الابتسامة على وجوه أهالي الجنة البسطاء رغم المأساة التي مرت بهم للتوِ ؛ كعادتها وقفت لوتس تراقب عملية الذبح والتوزيع وتتلقى الدعوات من الجميع في ذلك اليوم في حين انشغل خليل وسهى ومعتز بمساعدة الجرحى والمشاركة في دفن الضحايا؛ حضر عاصم مراسم الدفن للحظات ثم انصرف ليقوم هو وداليا بتعزية أهل أحد الحراس الذي لقى حتفه في معركة الليلة الماضية ..

مرت الليالي ولم تظهر الذئاب مرة أخرى واستطاع الحراس ترويض الذئاب الثلاثة التي لم تتمكن من الهرب .. في ذلك النهار جلست صاحبة الجنة تحت كرمة العنب في زهو وبجوارها ذئب في رقبته طوق ثبتت فيه سلسلة حديدية يمسك بها أحد الحراس؛ كان هذا بمثابة إعلان رسمي بانتصارها على الذئاب؛ لكن عواء لذئب وحيد عند أسوار الجنة أرق نومها في تلك الليلة رغم أنه عواء سرعان ما تلاشى واختفى الذئب الذي فجره؛ هنا كان ولا بد أن تحاول صاحبة الجنة أن تطمئن إلى عدم عودة الذئاب مرة أخرى ..

عبر السائق بوابة الجنة ومعه ضيفة جديدة؛ لم يكن أحد من سكان الجنة قد رآها من قبل سوى داليا التي قابلتها عند مدخل القصر بترحاب واحترام شديدين؛ كانت امرأة في أواخر الأربعينيات تمتلك وجهًا ذا ملامح طفولية لكن عينيها كانتا عكس ملامحها تمامًا؛ فالخبث كان يطل

منهما كاشتعال النيران في ليلة شديدة الظلمة (أخيرًا شرفتنا بزيارتك يا روائح هانم) قالتها لوتس وهي تتجه بخطوات متسارعة لتعانق الضيفة التي ابتسمت ابتسامة واسعة وقالت(أنا تحت أمرك دائما يا صاحبة الجنة) ربتت لوتس على كتف روائح بود وتسيران معًا في طريقهما لدخول القصر فتوقفها الضيفة بإشارة من يدها وتظل تشتم شيئًا في الهواء كأنها كلب بوليسي وجد رائحة مفقود يبحث عنه ثم قالت (أهي ذئاب تجرأت على أسيادها؟) ظهر بريق السعادة في عيني لوتس فقد تبين لها أن ضيفتها هى الاختيار الأمثل لحل مشكلتها كما ظنت فاحتضنت الضيفة بسعادة وقالت (صدق من سماك روائح فلطالما فضحت الشر من رائحته) لم تكن صاحبة الجنة تدري أن تلك المحتالة الماكرة استدرجت سائقها في طريقهما إلى الجنة وعلمت منه تفاصيل ما جرى في الفترة الماضية وأجزلت له العطاء كما أجزلت لها صاحبة الجنة العطاء مقابل التخاريف التي ملئت بها أذنيها خلال زيارتها مدفوعة الأجر.

(كيف نرتدي ملابسنا الداخلية بالمقلوب .. من أفتى بتلك المزحة السخيفة؟!) مط الحارس شفتيه علامة عدم المعرفة ردًا على جملة خليل الحانقة وانصرف ليخبر بقية سكان الأكواخ في حين توجه خليل لكوخ معتز وناداه ثم توجها لكوخ سهى التي كانت في حيرة من أمرها مثلهما من ذلك الأمر الذي تم توجيهه لسكان الجنة كلهم بناء على تخاريف الشيخة روائح التي اشترتها صاحبة الجنة ليلة أمس بشيك متخم بالأصفار وعدد من الهدايا الذهبية التي قبلتها ضيفتها المتعففة عن المال والإهداءات بعد إلحاح شديد من صاحبة الجنة (أهم يمزحون أم أن الأمر جديٌّ) قالتها سهى وعيناها تشتاق للنفي من ملامح أي من الرجلين لكن خيبة الأمل المرتسمة على وجهيهما جعلتها تنكس رأسها وتقول بأسًى (كيف تؤمن امرأة بهذا الثراء بخرافات كهذه .. وكيف ينصاع الجميع لأوامرها؟) يجلس معتز على درجات سلم الكوخ ويقول (هي مالكة وكلنا تحت أمرتها .. وبوابة جنتها مفتوحة دائمة لمن أراد المغادرة .. لكن لا أحد يغادر إلا فيما

ندر .. فبشكل أو بآخر الكل يعتبر المكان جنة فعلية رغم ما يعانونه فيه.. ولكن لا مشكلة ففي النهاية هم يريدوننا أن نرتدي ملابسنا الداخلية بالمقلوب ليوم واحد فقط .. وفي النهاية هم يعطوننا الفرصة لتجربة أشياء جديدة فابتهجوا) يبتسم الثلاثة لمزحة معتز التي أنهى بها حديثه وهنا يرن هاتف معتز المحمول وتتسع حدقتها عندما يرى اسم من يتصل به فيستأذنهما للانصراف بتعجل واضح أثار ريبتهما؛ أُحرجت سهى من أن تسأل خليل شفهيًا عن إذا ما كان يعرف سبب انصراف معتز بهذا الشكل المفاجيء؛ لكن السؤال ظهر في عينيها وحاول الرجل التهرب منه بفتح موضوع آخر وقال (أتعرفين أنني لم أفكر أبدًا في مغادرة الجنة .. ليس السبب راتبي الخرافي أو مكانتي هنا .. ولكنني فعلًا كما قال معتز أعتبر نفسي داخل الجنة .. إن المسميات تصنع حالة نفسية تسيطر على عقل البشر أحيانًا لدرجة تعميهم عن الحقائق الواضحة) تفتح سهى باب كوخها وتدعو الرجل للدخول بإشارة من يدها وتقول (أظنك تحتاج

فنجان قهوة) تسبق الشابة خليل للدخول وتبدأ في تحضير القهوة فيدخل الكوخ ويجلس في استكانة ويسبح شاردًا في العديد من الأفكار حتى يخرجه صوت سهى التي تناوله فنجان القهوة وهي تقول (لماذا لم تتزوج حتى الآن يا دكتور خليل؟) يفاجأ الرجل بالسؤال وكأنه لم يتوقعه أبدًا فيشرد للحظة ثم يرتشف رشفة من فنجان قهوته ويقول(غرور ، حماقة ، خوف من المسئولية ،تعود على الوحدة ، فهم خاطيء للحرية، واستعذاب للألم والمعاناة .. أتعرفين أنني صرت أصاحب الألم والمعاناة الناجمين عن وحدتي .. لقد صارا شعورين يمنحاني السعادة في نهاية الأمر .. ربما كان الأمر معقدًا بعض الشيئ لكنه حقيقي .. تمامًا كالمظلوم الذي يتوحد مع مظلوميته وينفصل عن مدار الحياة فشعوره بالظلم يتحول لحياته نفسها)، ينهي الرجل جملته ليجد سهى تحدق فيه بتعجب وهي شاردة فيقول (ماذا بك يا سهى؟) تنتبه الشابة فتقول: (اعذرني فقد فاجأني ردك .. كنت أتوقع أن تقول فاتني القطار .. أو لم يقدر الله ذلك .. أو

أيًّا من تلك الإجابات المعتادة لمثل هذا السؤال) يقهقه خليل بمرح طفولي ويقول (ولماذا تسألين سؤالًا تعرفين إجابته مسبقًا)، تنكس سهى رأسها وتقول (ربما لأنني لم أستطع أن أسألك سؤالًا لا أعرف إجابته فأردت أن أوجه لك سؤالًا في كافة الأحوال) يظهر التعاطف في عيني خليل ويقول (أنا لا أعرف سر انصراف معتز بهذا الشكل المفاجئ .. لكن صدقيني يا ابنتي .. هذا الشاب يحبك بكل ذرة في كيانه) تفاجأ الشابة بجملة خليل للمرة الثانية وتظهر عليها الفرحة فتقول بسرعة محاولة مداراة فرحتها (أتلك ليلتك للجمل الغير متوقعة يا دكتور خليل) يرتشف الرجل آخر رشفة في فنجان قهوته ثم يقول وابتسامة عريضة مرسومة على وجهه والزهو والسعادة يتلألأن في عينيه لكشفه مشاعر الشابة تجاه معتز ببراعة (لكن تلك الجملة أسعدتك أكثر بكثير من جملتي الأولى) ..

ظل معتز يفكر لماذا اتخذ قرار الخضوع لرغبات داليا طوال فترة جلوسه منتظرًا لها على الأريكة الوثيرة .. هل استطاعت إغوائه بأنوثتها المتاحة الرخيصة أم أن خوفه من أن تنفذ تهديداتها وتفضح سره فيطرد من الجنة أو تؤذي حبيبته سهى .. أم الآن الأمر مزيج من كلا الأمرين معًا .. ظل يفكر في حمق القرار الخاطئ الذي اتخذه وحين قرر التراجع عنه والانصراف ووقف من جلسته كانت داليا تهبط درجات السلم مرتدية زيًا فاضحًا جعله يقف مشدوها للحظة قبل أن تبادره بقولها ونبرات صوتها تشع سعادة بنجاحها في إغوائه (ماذا بك؟ .. ألم تر امرأة جميلة من قبل؟) قالتها وأجلسته مرة أخرى وجلست ملاصقة له بشكل جعل رعشة تسري فجأة في جسده الرياضي؛ وما هي إلا دقائق وكانا في حجرة النوم وهنا كانت المفاجأة .. كانت تلك المراة المتفجرة أنوثة سادية الجنس تمتلك أدوات جلدية وأغلال وأسواط حولت حجرتها لما يشبه غرفة التعذيب .. وهنا أنقذت العناية الإلهية الشاب من براثن الإغواء واتخذ قراره الفوري

بالرحيل .. مخلفًا وراءه داليا كتلة من الغضب ودخان السجائر المتطاير ؛ فهو ربما كان سيسقط في فخ الخطيئة راضخًا لضغوطها وإغوائها .. لكنه لم يكن أبدًا سيقبل بشذوذها وميولها المنحرفة .

راقب عاصم خروج معتز من فيلا داليا بعد دقائق من دخوله لها فأدرك رد فعل الشاب تجاه رغبات المرأة السادية فأخرج هاتفه وقام بطلب رقم وقال (رفض) ثم أنهى المكالمة بعد أن أعلم صاحبة الجنة بالصراع الوشيك بين مديرة أعمالها ومدرب كرة القدم .. هنا فاجأت قطرة مطر عاصم بسقوطها على رأسه الأصلع فنظر للسماء ليصدم بسيل من الأمطار آت خلفها ليغرق وجه الرجل ويعلن بقوة عن قدوم الشتاء في الجنة .

لم تستطع سهى تحمل التغيير المفاجيء في المناخ وسرعان ما أصيبت بنزلة برد ألزمتها الفراش؛ مما جعل معتز يتناسى كل التهديدات ويسهر لتمريض حبيبته بمساعدة دكتور خليل، لاحظت الشابة رجوع معتز لسيرته الأولى من الاهتمام والعطف وإظهار مشاعره فقالت والوهن يطغى على كلماتها (كان من الأفضل أن تكون طبيبًا .. فإشفاقك على المرضى كبير يا معتز) يتأملها الشاب للحظة ويمثل خليل الانشغال بالقراءة في ركن الكوخ كي يسمح لهما بالحديث بحرية فيقول معتز وهو يحتضن كفها الصغير بكفيه (بالعكس .. ليس من عادتي الإشفاق على المرضى لهذه الدرجة .. أنا فقط أشعر أنني المريض الراقد في الفراش الآن وأحاول معالجة نفسي) تبتسم الشابة التي فاجأتها قمة السعادة وهي على فراش المرض وتقول بحنان بالغ (إذنْ كان من الأفضل أن تكون شاعرًا رومانسيًا.) يقبل الشاب كف حبيبته برقة ويكمل وضع كمادات الماء البارد على جبهتها فتقول (أشعر فجأة أنني تعافيت بالكامل) هنا يعلو صوت

بكاء خليل الذي كاد ينصهر تفاعلًا مع مشاعرهم من مكانه في ركن الكوخ ويقول (نصيحة العازب الأحمق لشابين مثلكما هي الزواج الفوري .. فمن الأفضل تناول وجبة المشاعر ساخنة كما أظن) يبتسم الشابان وتظهر حمرة الخجل على وجنتي سهى رغم شحوبهما بسبب مرضها فيقول معتز محاولًا درء الحرج عنها (أتظنها ستقبل بي زوجا يا صديقي؟) يقف خليل ويقترب منهما ويقول (دع لي هذا الأمر .. يا آنسة سهى لدي لك عريس من النوع النادر .. رياضي .. وشاب .. ويحبك والأهم من هذا أني أظنك تبادلينه المشاعر .. وأنا أراها فرصة لك أكثر منه فأنت الآن مريضة وربما لن تجدي عرسانًا آخرين خلال فترة مرضك) يسود جو من المرح والسعادة المكان وتتعالى الضحكات وترتسم الابتسامات على الوجوه؛ فتحاول الفتاة الجلوس على سريرها ويساعدها الرجلان وتقول (لك الحق فيما قلت .. هي فرصة بالنسبة لوضعي الحالي كمريضة ملازمة الفراش .. ولكن ربما أؤجل التفكير في الأمر لحين يتم شفائي فربما كان قرارًا خاطئًا

سأتخذه وأنا تحت تأثير الحمى .. وأندم عليه حين أتعافى منها) هنا ينفجر الجميع ضاحكين لكن صوتًا خاطفًا يقطع الضحكات فجأة .. كان صوت أعيرة نارية كثيفة ينطلق بالقرب من منطقة الأكواخ .. يخرج خليل ومعتز مسرعين لمعرفة سبب إصدار تلك الطلقات فيفاجئون بعاصم وبعض الحراس وهو يدربون عددًا من الأهالي الذين انضموا للحرس مؤخرًا على إطلاق النيران في الغابة المجاورة للأكواخ .. يسير خليل ومعتز نحو عاصم بقلق وهم لا يفهمون ما يحدث ويقول خليل بقلق (ماذا يجري يا سيد عاصم؟) فيجيبه الرجل دون النظر إليه وهو يتابع إطلاق النيران (مجرد تدريب لحراس جدد على إطلاق النيران ليلًا .. فأنت تعلم أن الذئاب تهاجم ليلًا فقط) هنا يمتقع وجه الرجلان ويقول معتز (ولكنكم قريبون جدًا من الأكواخ وربما أصابتنا طلقة طائشة فهذا ليس ميدانًا للرماية .. كما أننا نقترب من منتصف الليل ولن نتمكن من النوم بسبب صوت الطلقات)

هنا يدير عاصم وجهه ببطء نحو معتز ويقول (نحن مستعدون للمخاطرة من أجل المنفعة العامة فهذا هو أقل مكان به سكان بالجنة .. لذا إن حدثت خسائر فستكون قليلة مقارنة بالأماكن الأخرى .. كما أنه لا يوجد بالجنة مكان يصلح كميدان للرماية إلا هنا فدعونا نحتمل إرهاق التدريب وتحملوا وضع قطعة قطن في آذانكم لتتمكنوا من النوم) هنا تتسع حدقتا خليل ويقول (إذن فأنتم على استعداد على قبول وفاة أي منا إن حدث خطأ في التدريب) يمط عاصم شفتيه ويقول بحزن مصطنع (بالطبع أنتم أعزاء علي الجميع .. ولكن للأسف التدريب كالمعركة .. وكل معركة قد يكون لها ضحايا) .. كانت جملة عاصم واضحة جدًا وتعلن عن نواياه .. كانت تهديدًا صريحًا لسكان الأكواخ أو بأقل تقدير استعراض للقوة كفيل بأن يفقدهم القدرة على النوم لليالٍ طويلة؛ عاد الرجلان إلى كوخ سهى التي كادت تحترق غضبًا لسماعها بالأمر وتفجر خوفها على حبيبها ونفسها من ذلك الوحش الكاسر الذي ألهته الذئاب

عن مطاردتها .. ظل الحراس يطلقون الأعيرة النارية لساعات والثلاثة يدفنون وجوههم بين أكفهم داخل الكوخ غير مصدقين لما يحدث خارجه .. حتى أنقذهم هطول الأمطار الذي أرغم الحراس على إنهاء التدريب؛ لكن انتهاء أصوات الطلقات النارية لم يكن كافيًا ليمنح الثلاثة نومًا هادئًا .. فقد كان هناك صوتًا آخر يمنعهم من النوم .. صوت الخطر .

***

تعجب الأطفال من عيني مدربهم معتز المحمرتين من أثر الأرق الذي لازمه طوال الليل؛ كانت أرضية الملعب

مشبعة بالماء من أمطار ليلة أمس، مما جعل مواصلة التدريب على العشب والطين صعبة للغاية فانتهى التدريب بعد دقائق من بدايته بهذه الحجة؛ لكن الرغبة العارمة لدى معتز في إغماض جفنيه كانت السبب الحقيقي.

قرر معتز أخيرًا التشجع والعودة لكوخه واقتناص قسط من النوم؛ وفي طريق عودته للأكواخ لمحت عيناه سهى تسير متجهة لمكان فصلها الدراسي حيث موعد حصتها مع الطفلة هنا فأجل فكرة العودة للكوخ واتجه إليها فوجدها تتجاهله وتتعامل معه بفتور شديد مما سبب له حيرة وفجر الحنق في نفسه فهو لم يكن يدري أنها ترى عاصم يقف في إحدى شرفات القصر وتخاف أن يتولد في نفس ذلك الوحش المزيد من الغضب تجاه حبيبها معتز فيكون مصيره طلقة طائشة من طلقات التدريب .

(أخشى أن نضطر لاستبدال موظفينا الرئيسيين يا عاصم فالضغط على أعصابهم بهذه الطريقة غير مأمون العواقب)، قالتها لوتس وهي تتجه للوقوف في الشرفة بجوار عاصم فيلحق بها خادم يمسك بقدحين من المشروب الساخن ويقدم واحدًا لكل منهما وينصرف؛ يتأمل عاصم صاحبة الجنة ويرتشف رشفة من مشروبه ويتلذذ بمذاقها ثم يقول: (نحن خارجون للتوِّ من أزمة ربما قللت من هيبتنا في نفوسهم ولابدَّ من إعادة الهيبة وإلا بدأ التطاول علينا شيئًا فشيئًا .. لا تنسي أنهم يتعاملون مع الصغار بشكل يومي ولهم تأثير كبير عليهم .. كما أنهم يعرفون أسرارًا كثيرة عنا من الأفضل ألا تتسرب أبدًا إلى العمال وإلا حدث ما لا يحمد عقباه من فوضى)، امتقع وجه لوتس بعد أن أنهى عاصم جملته الباردة كطقس ذلك الشتاء القاسي الذي ضرب أرجاء جنتها؛ صمتت المرأة ولم تعقب فعاد عاصم لاحتساء قدحه الساخن وما هي إلا لحظات ودخلت داليا الشرفة وهي تحاول التظاهر بالسعادة واللامبالاة فهي تعرف

جيدًا أن ما حدث ليلة أمس من رفض الشاب الرياضي لنزواتها لابدَّ وأنه وصل لصاحب الجنة (أراكما تستمتعان وحدكما بالوقوف في الشرفة .. إنها خيانة)، قالتها داليا واتجهت للوقوف بجوارهم ومثلت تأمل الجنة لتتهرب من تلاقي عينيها بأعينهم فقال عاصم بسخرية لاذعة: (لسنا من نستمتع وحدنا فقط .. ربما يفضل الكثيرون الاستمتاع بمفردهم)، هنا يتسع فم داليا بابتسامة جعلتها تبدو كأفعى تستعد لابتلاع فريستها وتقول: (ربما تمت دعوتك ولم تقبلها منهم)، يقهقه عاصم ولا يرد فتقول لوتس بصرامة لا تتناسب مع الجمل التي كانا يقولانها: (أنا أظن أن عاصم يضغط بشدة على سكان الأكواخ يا داليا .. أتستطيعين تأمين غيرهم إن خسرناهم؟)، تتقد عينا داليا كقلب آتون مشتعل حينما يطرح عليها السؤال وتقول وهي شاردة العينين: (لا أظنهم أفضل من يؤدون وظائفهم .. ربما تغييرهم سيكون أفضل إن اضطررنا له)، يصمت الثلاثة للحظة فتضع لوتس قدحها على سور الشرفة وتقول: (ولكن تغيير

كل هؤلاء في وقت واحد يثير التساؤلات وقد يسبب رد فعل غاضب من الصغار وممن يحبونهم من العمال .. يجب التعامل بحرص وإن اضطررنا لاستبدالهم فاستبدلوا واحدًا تلو الآخر وإياكم من أن يغادروا جميعًا في نفس الوقت .. فحينها سيظهر فشلنا في إدارة الجنة)، قالتها لوتس وانسلت داخل القصر بهدوء رغم عاصفة التوتر التي خلفتها في نفسي عاصم وداليا.

(أإذا قامت امرأة بإنقاذ حياة حبيبها من موت محقق بالتخلي عن شرفها لليلة واحدة .. ترى أيشكرها حبيبها على إنقاذ حياته أم يهجرها لكونها فرطت في عرضها ولم تفرط في حياته)، قالتها سهى وهى تنظر من نافذة كوخها على كوخ معتز مستترة بالستارة كي لا يراها إن نظر فجأة رغم أن أضواء الكوخ كانت مطفأة؛ التفتت الشابة لخليل الجالس قرب المدفأة فوجدته شارد الذهن ولم يمسَّ فنجان قهوته

على غير عادته :(ماذا بك يا دكتور خليل؟!) يفيق الرجل من شروده وينكس رأسه تفاديًا لتلاقي عينيه مع الشابة ويقول(مشكلة البشر هي إخراج الله من المعادلات الحياتية، وكأنها عملية كيميائية أو نظرية رياضية؛ وهذا قمة التغابي من وجهة نظري .. فربما كانت كل الشواهد تؤدي إلى نتيجة حتمية في حياتك من وجهة نظرك فيحدث شيئ غير متوقع ويقلب تلك النتيجة لاتجاه معاكس .. لا تخرجي الله من حساباتك فجميعها تتغير فجأة وفقًا لإرادته) تتسع حدقتا سهى بعد أن فاجأها خليل بذلك الرد النابع من إيمانه وليس من فلسفته كعادته، (لم أرك تصلي من قبل؟) قالتها سهى وهي تجلس على طرف سريرها وعيناها تشعان فضولًا لرد الرجل على سؤالها فيرتشف رشفة من قهوته وتتغير ملامحه حين يجدها قد بردت فيقول: (بردت قهوتي .. مالك تنظرين لي بفضول طفل ينتظر فض تغليف أول هدية تلقاها في حياته)، تخجل الشابة فيبتسم الرجل ويقول (إياك والخضوع فما هو إلا بداية للمزيد منه)، تحمر وجنتا

سهى بعد أن وجه لها خليل الكلام مباشرة وقد كانت تسأله بشكل عام تجنبًا للحرج فيقول الرجل بهدوء (أظن وضعنا الحالي لم يعد يسمح بالمواراة .. فما هي إلا دقائق وتشتعل صوت الطلقات بجوارنا .. ولست بأعمى كي لا أرى أن عاصم لديه أهداف من وراء تلك الفعلة الحمقاء)، هنا يفتح باب كوخ سهى ببطء فيتسمر خليل وسهى مترقبين من يقف خلفه والذي بالتأكيد سمع شيئًا من حوارهما؛ يبتسم خليل عندما يجد الواقف معتز لكنَّ عيني سهي أغرورقتا بالدموع لرؤيته وقامت مسرعة للنظر من النافذة إخفاء لدموعها فيفاجئها معتز بقوله: (ترى هل تقبل المرأة خيانة حبيبها إنقاذًا لحياتها؟) هنا تتسع أحداق خليل وسهى التي التفتت له بشكل خاطف وقالت: (ماذا تعني؟) يتبادل الشاب نظرة طويلة مع حبيبته تنساب بعدها الدموع على وجنته وحين تمد الشابة كفها لتمسح الدمعة المنسابة على جبين حبيبها يفاجأ الشابان بخليل يقف ويقول بغضب شديد: (غادرا هذا المكان المسمى زورًا بالجنة .. إن كانت هذه الأرض لابدَّ

وأن تسمى بالجنة .. فهي جنة الأكاذيب ليس إلا .. فكل منَّا مرغم على لف كذبة حول عنقة كحبل المشنقة كي يدخلها)، تتسع حدقتا الشابين فيقول خليل مستدركًا (لا تتعجبا .. فكذبتيكما سهلة الكشف .. كثيرًا ما تنسى سهى وتتحدث بلهجتها السورية أو تنقشع الصبغة الصفراء عن شعرة من شعرها الأسود دون أن تلاحظها .. كما أن الشبكة العنكبوتية جعلت من السهل معرفة تاريخ أي لاعب كرة قدم بالتفصيل .. وأنت لم تلعب في نادي القمة .. كان مشروعًا للانضمام تبخر بعد إصابتك في الحادث)، ينكس الشابان رأسيهما فيقهقه خليل فجأة بشكل يثير تعجبهما فيسير الرجل نحو النافذة ويقول وهو يتأمل الحراس الذين بدأوا التجهيز لتدريب إطلاق النار :(ربما كانت كذبتي أخطر الأكاذيب جميعًا .. خطرًا لدرجة أن مصارحتي لكما بها هو بمثابة تقييدكما على قضبان سيمر عليها قطار سريع بعد ثوان معدودات) يطبق الصمت بقبضته على الثلاثة بعد أن ينهي خليل جملته لكن جملة أخرى تنطلق من اتجاه باب

الكوخ تجعل الصمت يفر مسرعًا من صوت عاصم الذي قال (يا له من وصف دقيق لما سيحدث إن تغابيت وأفشيت سرًا يجب أن يظل مدفونًا في أعماقك)، يلتفت الثلاثة لعاصم الواقف على باب الكوخ ممسكًا بمسدسه فيبتسم لهم ابتسامة صفراء ويقول: (لا تفزعوا فالمسدس مجرد استعداد للتدريب) كانت عيناه تقول عكس جملته فالرجل الضخم كان بالفعل يفكر في إفراغ طلقات مسدسه في أجساد هؤلاء الثلاثة الذين ارتكبوا جريمة التفكير في مجريات الأمور وتجرأوا على رفض رغبات أسياد الجنة؛ لكن الرجل لم يظن أبدًا أن شخصًا أعزل سيسير نحوه ويحدق في عينيه بنظرة متجاهلًا مسدسه وضخامته وحراسه وسلطته المطلقة وهذا ما فعله معتز الذي حدق في عينيه وقال: (ربما التغابي من وجهة نظرك هو القرار الوحيد الذي ينقذ المرء من قبضة الطغيان المحكمة)، لم يدر عاصم هل يقصد معتز بجملته الرد على حديثه مع خليل أم يقصد وقفته ونظرته المتحدية له أم يقصد كليهما؛ فتخطي الشاب

الرياضي لكل المخاوف بهذا الشكل السافر لم يكن في حسبان الرجل ضخم الجثة والنفوذ أبدًا والذي تلعثم قبل أن يقول: (ماذا تعني؟) هنا تندفع سهى وتزيح معتز للخلف ثم تقف بينه وبين ضخم الجثة وتقول: (هو لا يعني شيئًا .. هو فقط يحتاج للنوم وأنتم ستبدئون إزعاجنا بأصوات الرصاص الحي بعد لحظات)، يعقد عاصم حاجبيه عندما يجد نظرة التحدي مازالت مرتسمة في عيني معتز ولكن نظرة الرجاء في عيني سهى وخليل الذي وجده واقفًا بجانبها فجأة جعلته يزفر بحنق ثم يضع مسدسه الذي كان بيده طوال الوقت داخل جرابه ويقول: (لقد تحدثنا من قبل في موضوع التدريب .. قطعة من القطن لن تؤذي أحدًا .. ليلتكم .. سعيدة) تتعالى أصوات الطلقات معلنة بداية التدريب فهم ضخم الجثة بالانصراف لكن معتز يرتكب خطأه الثاني في تلك الليلة ويقول: (إلى أين أنت ذاهب .. ألا تستطيع إكمال حوارٍ واحدٍ بالمنطق .. أم أن هذا يرهق عقلك المزدحم بالطلقات الفارغة)، يتوقف عاصم وتتسع

حدقتيه ويتطاير الشرر من عينيه ويقول: (يبدو أنك تحتاج إلى أن تتعلم كيف تتحدث مع أسيادك أيها الوقح)، يندفع عاصم باتجاه معتز بعد أن فشل خليل وسهى في منعه وارتمى كل منهما على جانب بعد أن أزاحهما ضخم الجثة بدفعتين بسيطتين من ذراعيه أطاحت بهما لأمتار ليسقطا على الأرض؛ لكن ما ظناه افتراسًا لمعتز كان في الحقيقة سيلًا من اللكمات الموجهة لوجه وجسد ضخم الجثة؛ ففي النهاية الشاب الرياضي يجيد فنون القتال اليدوي على خلاف عاصم الذي لم يكن يجيد إلا إطلاق النيران؛ سقط ضخم الجثة أرضًا وتناثرت نقطة دم من أنفه على إثر لكمة كالها له معتز ؛ لكن ما تبعثر على أرض الكوخ بحق هو كرامته وكبرياؤه ونظارته الشمسية الداكنة التي طارت في الهواء كاشفة عن عينيه التي رآها الثلاثة للمرة الأولى .. كانت عينا عاصم ضيقتين بشكل ملفت ويتوسطها بؤبؤ كبير بشكل لا يتناسب مع حجمها مما جعل نظراته غبية لا حركة فيها ولا حياة .. كاد ضخم الجثة يستشيط غضبًا وأدرك انعدام

جدوى مهاجمة الشاب الرياضي بيديه العاريتين فما كان منه إلا أن أخرج مسدسه بشكل خاطف وأطلق منه طلقة اخترقت قدم معتز وعبرته لتستقر في حائط الكوخ الخشبي؛ سقط الشاب أرضًا وهو يصرخ من الألم فوقف ضخم الجثة ولوح بمسدسه وقال: (يمكننا القول أن طلقة طائشة أصابت قدم مدرب الكرة السابق واضطرته لمغادرة الجنة لعدم قدرته على التدريب مرة أخرى .. ويمكننا أيضًا القول أن عدة طلقات طائشة أصابت كل من في الكوخ واضطرتنا لإعلان الحداد حزنا عليهم لعدة أيام .. ترى ماذا تفضلون أن نقول) .. تسمر الثلاثة في أماكنهم للحظة وتبدلوا نظرات الحسرة والمرارة التي تلاشت مع صوت جديد يقتحم الموقف عنوة ليقلبه رأسًا على عقب .. صوت عواء الذئاب .

تحول تدريب إطلاق النار إلى تدريب حي بعد أن هاجمهم قطيع ذئاب ضخم خرج من الغابة فجأة لينهش في

أجساد الحراس ويثخنونه بطلقاتهم .. يتجلى التوتر على وجه عاصم الذي تلاشت عجرفته في غمضة عين وغزاه الخوف بدلًا منها عندما رأى الذئاب تكاد تتفوق على حراسه (الذئاب ترى في الليل جيدًا على عكس حراسك)، قالها خليل والتشفي يرتسم على وجهه فيقول عاصم وهو يطلق الرصاص بجنون من موقعه محاولًا إصابة الذئاب: (من أين تأتي تلك الذئاب اللعينة؟)، هنا تقول سهى التي كانت تحاول تضميد جرح حبيبها وقد تحولت عيناها لبحيرة من الدموع (ربما تجذبها رائحة الظلم عندما تفوح بقوة)، يتجاهل عاصم جملة الشابة ويقول بغضب: (لماذا لا يسرع الأهالي لمواجهة الذئاب مع الحراس؟)، صمت الثلاثة فأغمض عاصم عينيه فقد كان يعرف إجابة السؤال فيقول محدثًا نفسه: (ربما أسرعنا في أخذ الأسلحة منهم .. وجود الأسلحة مع الجميع خطر بالغ .. في أقل عراك يتحول الأمر لمجزرة)، يهز خليل رأسه ويقول (صدقت .. ولكن أهذا هو السبب الوحيد .. أم ربما كان الخوف من مطالبة المعدمين

بحقوقهم بعد أن يمتلكوا سلاحًا سببًا آخر) بدأت الذئاب في العودة من حيث أتت بعد أن حضر العديد المزيد من الحراس وشاركوا في مواجهتها؛ هنا ينكس عاصم رأسه ويقول: (صديقك تعدى على بالضرب أولًا .. فاضطررت للدفاع عن نفسي) هنا تقول سهى بحنق: (أنت من هاجمته ولم تتوقع أن يوسع ضخمًا مثلك ضربًا .. ولم تتحمل انهيار تعجرفك وكبريائك أمامنا فأطلقت على أعزل رصاص مسدسك)، يشير معتز لسهى بالصمت ويقول: (ماذا ستفعل الآن بعد أن عادت الذئاب تنهش جنتك الهادئة .. أظنك تحتاج الطلقات الآن لتدافع عن نفسك بها .. ولا تملك رفاهية قتلنا في الوقت الحالي)، يمط عاصم شفتيه ويعيد مسدسه إلى جرابه ثم يعود إلى داخل الكوخ ويجلس على أحد المقاعد ويقول (يبدو أننا نحتاج إلى الحوار لحل الخلافات فيما بيننا)، يصفق خليل والاستهزاء واضح على وجهه ويقول: (يا لك من بارع يا رجل .. لقد كدت أصدقك للحظة .. عن أي حوار تتحدث .. أنت فقط كما قال الشاب

لا تملك رفاهية قتلنا لاحتياجك للرصاص .. وفور أن تأمن الذئاب ستلوح لنا بمسدسك مرة أخرى .. انصرف ولا تنس أن ترسل لنا طبيبًا يعالج الشاب المصاب)، هنا تتدخل سهى محاولة منع عاصم من الخروج بقولها (مهلًا .. ربما كان لديه احترام للوعود التي سيقولها .. دعنا نستمع لوعوده )، ينكس عاصم رأسه ويقول: (يمكن للشاب معاودة التدريب بعد التعافي من إصابته .. وسأترككم وشانكم شريطة ألا تنقلوا أفكاركم للصغار، أو الأهالي وتحتفظوا بأسراركم لأنفسكم كما تعهدتم عند دخولكم الجنة .. يمكنكم تسميتها جنة الأكاذيب كما تشاؤون .. لكن في كوخكم المغلق عليكم .. وحينما تتأكدون من أن لا أحد يسترق السمع إليكم .. أما خارج كوخكم فهي أروع مكان على الأرض) أنهى عاصم جملته وتفقد وجوه الثلاثة فوجد قبول تعهداته باديًا عليها فوقف وأعاد ارتداء نظارته الشمسية مخفيًا عينيه مرة أخرى وحين توجه للخروج من الكوخ استوقفه معتز بقوله: (وما هي الضمانات .. لقد كنت على استعداد لقلتنا جميعًا

دون أن يطرف لك رمش .. وببرود شديد .. ألديك ما يضمن لنا أن تدعنا وشأننا بحق إن التزمنا بما طلبت) يمط عاصم شفتيه ويقول: (في الحقيقة أنتم الضمان .. فما لا تدركونه هو أن جنتنا بها ثلاثة أنواع من البشر .. كلاب الحراسة وأنتم لا تصلحون لأن تكونوا منهم والنوعان الآخران هما الذئاب المتوحشة والقطط الأليفة .. وقد رأيتم مصير الذئاب .. الموت أو الترويض .. الاختيار لكم والضمان تصرفاتكم أنتم .. ومن ناحيتي سأنقل تدريبات إطلاق النار إلى مكان آخر كإثبات لحسن نيتي)، انصرف ضخم الجثة أخيرًا وحضر الطبيب لمداواة جرح الشاب الرياضي الذي ساعدته سهى على الوقوف على قدمه المصابة مستندًا عليها ليعود لكوخه في حين وقف خليل يشاهد الأهالي وهم يجمعون جثث الذئاب الميتة ويلقون بها في عربة ضخمة وهو يحدث نفسه بصوت مرتفع غير عابئ بنظرات الدهشة في عيون من يراه (إذنْ ففي هذه الجنة .. يجب أن ننغمس حتى النهاية في الأكاذيب المرتبة لنا .. ونختار دور الذئاب المروضة أو القطط

**الأليفة لنظل على قيد الحياة .. كم هي بدائية أفكارنا .. كلها تدور نحو نفس النقاط التي عاشتها القبائل الهمجية منذ آلاف السنين .. لابدّ وأن يطيع الجميع زعيم القبيلة لابدَّ وأن يسيطر على كل شيئ .. فشلت كل تلك العصور في تغيير أفكارنا كما فشلنا في التخلص من مخاوفنا المتراكمة جيلًا بعد جيل .. يا لها من حياة التي يتحول فيها البشر إلى ذئاب وقطط) ..**

## الفصل الثالث

# الهروب من الجنة

( اطمئني تمامًا يا صاحبة الجنة .. فلن تهاجم الضواري والسباع مكانًا قُرِئ فيه القرآن وذكر اسم الله ومجد به .. واطعمت صاحبته الفقراء لوجهه سبحانه وتعالى .. بل وأحسنت ضيافة رجال دينه وأجزلت لهم في العطاء أيضًا) قالها الشيخ المناويشي وهو ينقض بأسنانه الحادة على فخذ

من الضأن ماإن قد وضع على طاولة الطعام أمامه خاصة دون بقية المشايخ الذين كانت أمامهم أطعمة فاخرة بدورهم ولكن مكانة المناويشي عند صاحبة الجنة وتزعمه للمشايخ ميَّزه بالعديد من المميزات دائمًا (أنت تعرف محبتي لك يا مولانا .. وثقتي المطلقة بك وبعلمك وإيمانك)، قالتها لوتس الجالسة مع المشايخ هي وداليا وعاصم حول مائدة الطعام الفاخر؛ تتجسد السعادة في ملامح الشيخ الذي قارب الستين من العمر لكن السنين لم تفقده نضارة بشرته أو تحفر تجاعيدها في وجهه ولولا الشيب الذي تركه يظهر على لحيته ليمنحه وقارًا وهيبة لظنه الرائي في أواخر الأربعين وليس الخمسين؛ هنا ترمق لوتس عاصم بنظرة ذات مغزى تجعله يتذكر أمرًا ويقول: (أريدك أن تمضي بضعة أيام معنا أنت والمشايخ لتحل البركة على المكان يا مولانا)، تنفرج أسارير الشيخ ويقول وهو يمضع قطعة لحم ضخم حشرها في فمه: (إذن فأنتم تغرونني بطعامكم اللذيذ لأبقى معكم لعدة أيام)، يضحك الجميع مجاملة للشيخ الذي يواصل

حديثه قائلًا بانتهازية وتباهٍ واضحين: (ولكنكم تعرفون مشاغلي في العاصمة وبقائي هنا سيجعلني أتخلف عن مواعيد خطب ودروس علم كثيرة)، هنا تقول داليا بتملق واضح: (نعرف مشاغلك الضخمة يا فضيلة الشيخ ولكننا نحتاجك هنا لعدة أيام لا أكثر ليطمئنَّ قلب صاحبة الجنة التي ستقدر كل مجهوداتك الثمينة كالعادة) يتبادل الشيخ نظرة عميقة مع عيني داليا اللتين تشعان أنوثة وإغراء وتلمح عيناه جسدها المتفجر أنوثة فيشرد للحظة ثم يهز رأسه وكأنه كاد يغفو ويحاول إفاقة نفسه ثم يقول: (بالطبع أنا لا أنسى أبدًا سخاء مضيفتنا الكريمة التي رغم نسيانها لي لفترات طويلة إلا لجوئها لشيخها المناويشي في الأزمات يظهر حقيقة إيمانها الراسخ بالقلب)، تبتسم لوتس بامتنان وتهز رأسها بهدوء فتتسع عينا المناويشي بعد أن علم أنها ستجزل له في العطاء فينظر الرجل لداليا نظرة اشتهاء ثم يعاود النظر للوتس التي تضطرب للحظة لكنها سرعان ما تبتسم وتنظر لداليا بحزم فتضطرب بدورها ثم تغطي اضطرابها

بابتسامة واسعة للشيخ الذي سيمضي لياليه برفقتها تحت ستار من ورقة عرفية تجعل اشتهائه لها شرعيًا وسريًا في ذات الوقت.

استضاف عاصم المشائخ في فيلته في حين أمضى المناويشي معظم النهار في المسجد وكل الليل بأحضان زوجته المؤقتة داليا التي أخفت كل مظاهر ميولها السادية من حجرتها ومنحته على مضض مخفي حقوقه الزوجية بل وتظاهرت بالسعادة والنشوة البالغة إرضاء لرجولته التي كانت على وشك التلاشي بعد وصوله لمشارف الستين من العمر.

(زواجي السري منك ليس بغرض المتعة لا سمح الله .. ولكن مكانتي كرجل دين تجعل زوجتي مجبرة على اتباع

تعاليمه من حيث الزي وما شابه وأنا لا أريدك أن تفعلي ذلك مجبرة حبيبتي .. أما طلاقنا الحتمي .. فهو أمر سأجبر عليه حين مغادرتي الجنة .. مخافة أن أظلم امرأة في ريعان شبابها مثلك بانتظاري لشهور طويلة أغيب عنك فيها)، قالها المناويشي وهو يتناول إفطاره الملكي في الفراش في حين جزت داليا على أسنانها وتأففت دون صوت داليا بعدما أدارت ظهرها له وهي ترتدي ملابسها لكنها عيناها اتقدتا بالغضب فجأة واستدارت له وكأنها ستمطره بسيل من الشتائم لكنها سرعان ما عادت لترسم سعادتها الزائفة على وجهها وسارت نحوه لتطبع قبلة على جبينه .. كانت تعرف جيدًا قيمة الرجل عند صاحبة الجنة وتعرف أن زواجه منها لعدة أيام سيثبت من مكانتها لديها ولديه وهي تحتاج لكليهما لتسقي أرض طموحها اللامتناهية؛ هنا تتعالى الأصوات منادية على الشيخ المناويشي من خلف نافذة الحجرة فيعقد حاجبيه بدهشة ويخرج لرفاقه المشايخ الواقفين بانتظاره مع عاصم والعديد من رجال الحرس على بوابة الفيلا .. فيسير نحوهم

بخطى واثقة ويركب معهم السيارات الكهربائية التي تقودهم نحو تجمهر من الأهالي الغاضبين لتكرار هجمات الذئاب عليهم في الأيام الأخيرة وفشل الحرس في الدفاع عنهم وتأمينهم منها .. كانت هناك فكرة انتشرت بين الأهالي أن الذئاب تاهجم الجنة لاستعادة الثلاثة ذئاب الذين روضتهم لوتس كأنهم كلاب أليفة فأججت تلك الفكرة غضب العمال الفقراء الذين يفقدون عزيزًا كل يوم في هجمة للذئاب على منازلهم وفجر الموقف شجارًا وقع بين بعض الأهالى الغاضبين وأحد الحراس اللامبالين بحزنهم .

ظهور المناويشي بزيه الديني وعمامته البيضاء بسط الصمت على الحشد الغاضب فجأة وخاصة وهو برفقة عاصم وحراسه المدججين بالسلاح .. لم يطل الشيخ الحديث مع الناس بل أمَّهم في صلاة الظهر ثم جلس يخطب فيهم ويذكرهم أن الابتلاء لا يصيب قومًا إلا بذنوبهم وأنه في

النهاية يمحو تلك الذنوب ويقربهم من الله ونهرهم لتداولهم أفكارًا وشائعات مغرضة الهدف منها تأليبهم على صاحبة الجنة الكريمة التي تأويهم بأرضها .. وانتهى الأمر بأهالي الجنة يحاولون تقبيل يد الشيخ وهو يتخطفها قبل أن تمسها شفاههم مخافة الوزر.

كادت عينا عاصم تخرجان من محرجيهما من هول مفاجأة رؤيته لخليل وهو يسير مع الشيخ المناويشي عند خروجهم من المسجد؛ لم يكن لقاء الرجلين مستحبًا لدى ضخم الجثة لكنه ابتسم على مضض عندما أشار له المناويشي بالانصراف وسار على قدميه متجاذبًا أطراف الحديث مع خليل الذي اقتاده لتبة مرتفعة تطل على منازل الأهالي الفقيرة ويظهر قصر صاحبة الجنة على بعد منها أيضًا (أمقتنع بما هدأت به الأهالي يا شيخ؟)، قالها خليل وهو يثبت عينيه على منازل الأهالي فنكس المناويشي رأسه

وقال (لقد نشأت في حي فقير كهذا .. بل ربما كانت قريتنا أفقر من ذلك الحي فلم يكن لدينا كهرباء مثلهم .. أتظن صاحبة الجنة لجأت إليَّ فور تعرضها للمشاكل .. أنا أدرك جيدًا أنها لجأت لطرق أخرى قبلي .. وإن لم أساعدها فلن تلجأ إليَّ .. لذا فما أفعله أمر حتمي لكي تظل تلجأ إليَّ وتظل مكانتي محفوظة لديها ولدى سكان الجنة .. وفي النهاية هي تملك كل شيئ ويمكنها طرد هؤلاء الفقراء والمجيء بغيرهم)، هنا يعقد خليل حاجبيه ويقول بحنق: (من قال هذا .. ربما هي تملك الأرض لكنها لا تملك البشر .. وهي لا تستطيع طرد هؤلاء من هنا أبدًا فهم يعرفون كل شيئ عن جنتها وهم من قبلوا العيش بها رغم كونها في قلب الصحراء القاحلة ورحيلهم هو خرابها الفوري)، يتبادل خليل نظرة سريعة مع المناويشي ثم يشيح بوجهه عنه فيواصل المناويشي حديثه قائلًا (أعرف أنك تراني منعمًا .. لكن هذا رزقي وحظي الذي آتاني الله من الدنيا .. ربما أسرف في التمتع بما أملك لكنني بشر وكلنا نخطيء .. أليس كذلك أيها الطبيب)، ينكس خليل

رأسه ويقول (لا بأس بالأخطاء حينما نضر بها أنفسنا .. لكن أخطاء رجال مثلنا .. وتخاذلنا المستمر .. جريمة في حق آخرين يا مولانا) انصرف خليل تاركًا المناويشي يتأمل المنازل الفقيرة ثم يلقي على قصر لوتس نظرة سريعة قبل أن ينصرف بدوره ليستعد لمغادرة الجنة بعد أن أنهى مهمته التي استدعته صاحبتها من أجلها فهي لم تكن تطلب البركة أو العون الإلهي قدرما كانت تحتاج إلى من يستطيع التهدئة من روع الجميع بكلمات عن الله.

(أنت لا تعرفه مثلي فقط) قالتها لوتس بلامبالاة ولهجة ساخرة ردًا من مخاوف ضخم الجثة التي ظل يرددها على أسماعها بعد رؤيته لخليل والمناويشي معًا لكن المرأة الداهية لم تكن تكترث بما يقوله وظلَّتْ تناقش داليا حول هدايا وداع الشيخ ورفاقه والمبلغ الذي ستودعه في حسابه البنكيّ لتجعله يهرع إليها حين تطلبه المرة القادمة فاحتياجها

له أمر متكرر وضروري رغم تباعد الفترات بين كل استدعاء وآخر : (أظنه لن يهتم بالرقم هذه المرة) قالتها داليا بخبث فابتسمت لوتس وقالت: (هذا ظنُّ غرورك فقطْ .. وحتى إن كان هذا صحيحًا فلابدَّ وأن نجزل له العطاء كعادتنا كي لا نشعره أنك كنت مقابلًا ولست هدية .. بل يجب أن تهديه شيئًا قيمًا يعبر عن امتنانك له ليشعر بالزهو)، تشعل داليا سيجارتها بحنق وتقول: (أنا أقدم له الهدايا .. سيقوم بتطليقي بعد دقائق) يقهقه عاصم بشكل طفولي ويقول (فلتعتبريها هدية الطلاق .. أنا لو كنت في مكانك سأمنحه ما يشاء عندما أتخلص منه) يظهر الحنق للحظة على وجه داليا لكنها سرعان ما تبتسم وتقهقه بدورها فتبتسم لوتس وتقول: (المهم أنه أدى مهمته على أكمل وجه .. لن أنسى لك ما صنعت يا داليا) تتظاهر داليا بالبراءة وتقول: (أنا لا أنتظر مقابلًا أبدًا يا صاحبة الجنة .. ولكن لا مانع من قرطين من الألماس)، هنا ينفجر الثلاثة ضاحكين ويقول عاصم: (ياللتفاني والقناعة) .. لكن تغير ملامح لوتس المفاجيء يبخر

ضحكاتهم ليسود الصمت للحظة قبل أن تقول: (أظننا يجب أن نتعامل بجدية أكثر مع هجمات الذئاب المتكررة .. يجب أن تضاعف الحراس يا عاصم .. لا نحتاج إلى تزايد الغضب وخاصة في الأيام المقبلة)، يخلع عاصم نظارته الشمسية ويفرك عينيه ويقول (سيكلفنا هذا الكثير وفي المقابل .. فخسائر تلك الهجمات بسيطة جدًا .. ضحية أو اثنين كل أسبوع .. دعينا نوفر تلك الأموال لشيئ أهم .. ولا تقلقي فنحن نسيطر على الوضع جيدًا) تمط لوتس شفتيها وتقول(لا بأس ولكن يجب أن يرى الأهالي حراسك على الدوام .. لكي لا يتهمونا بالتقصير) هنا يدخل الطاهي مستفسرًا عن ما يريد السادة تناوله على الغداء فتخبره لوتس أن يختار ما يشاء فقد لكونها فقدت شهيتها بسبب الأحداث الأخيرة .. فينصرف الطاهي وهو يمدح طيبة قلب صاحبة الجنة .

لفظ الشتاء أنفاسه الأخيرة ورحلت معه أمطاره وبرودته وتوقفت هجمات الذئاب .. لم يكن أحد يدري هل

انتهت للأبد أم لفترة مؤقتة ، مع نسمات الربيع الأولى كان معتز قد تعافى نهائيًا من إصابته وعاد لتدريب الصغار؛ حضرت سهى التدريب كعادتها في الأونة الأخيرة عندما يكون لديها متسع من الوقت .. لكن الشابة لم تكن تتخيل أن يتوجه إليها الطفلان المدللان هاني وهيثم ويسألاها بجراءة عن سبب عدم تزوجها من مدربهم المحبوب رغم كونهما مناسبين لبعضهما من وجهة نظرهم الطفولية كما أن هناك لمعة تتألق في عيني كلٍّ منهما حين تتلاقى أعينهم؛ أعجز الخجل الشابة عن الرد على الطفلين واحمرت وجنتاها فأنقذها المدرب من خجلها وصرفهما وهو يقول: (أطفال تحب المزاح كحبها للعب .. كيف حالك اليوم؟) تنهدت الشابة وقالت: (أتنفس الصعداء بعد إنقاذك لي من هذين الوحشين الذين يظهران بجسد أطفال)، يضحك الشابان فيتأملها معتز للحظة ويقول: (لكنهما لم يخطئا .. أظننا يجب أن نتزوج)، هنا تعود حمرة الخجل لتغزو وجه الشابة وتسعل بشدة ثم تقول: (يبدو أنك تحب المزاح أكثر من

الطفلين)، هنا يحتضن معتز يد سهى بكفيه ويقول: (أنا لا أمزح .. هل تقبلين يا موسوعية الثقافة الزواج برجل نادرًا ما يقرأ؟) .. ظهر للأطفال الذين وقفوا يراقبون الشابين من بعيد موافقة الشابة فتهللت أساريرهم .. لكن عيونا الجالسين في كرمة العنب لم تكن سعيدة بما تراه فداليا وعاصم سيفقدان ما يشتهيانه إن تم هذا الزواج الذي سيضع لوتس في مأزق فهي ستفقد كلاهما إن اختلفت مع واحد منهم (الصغار يرحبون بالأمر)، قالتها لوتس فالتفت لها عاصم وقال: (يمكننا تغيير رأي الصغار بسهولة)، هنا تلتفت داليا بدورها وتقول بحماسة: (بالفعل .. أسهل شيئ تشويه صورة شخص بأعين أطفال مثلهم)، تمد لوتس يدها لتلتقط تفاحة من طاولة الفاكهة أمامها وتقول وهي تتلذ بالتهامها: (دعوا الأمر يمر بهدوء الآن .. بل وتمنيا لهما السعادة فظهور الرفض قد يحفزهما على الرحيل .. لكن محاولتهم الارتباط إن باءت بالفشل ستجعل كلًا منهما أكثر تقربًا منا وتمسكًا بمكانته لدينا) هنا تبادل عاصم وداليا

نظرة تساؤل عن الطريقة التي سيجعلان علاقة الشابين تفشل بها .. فهما لم يكونا ممن يحبون تضييع الوقت.

أصر الصغار على حضور الحفل البسيط الذي أقامه الشابان بمناسبة خطبتهما؛ جاء الثلاثة أطفال برفقة داليا وعاصم اللذين ظهرا ودودين بشكل أثار ريبة خليل رغم انغماسه في سعادته بسبب الجمع بين قلبي الشابين العاشقين فقد رأى فيهما أحلامه التي لم تتحقق وهي تتجسد واقعًا .

كادت داليا تمتعض علنًا من تواجد بعض الأهالى الفقراء في الحفل المقام أمام الأكواخ (هم أهالي الصغار الذين يدربهم الشاب الرياضي مع صغار صاحبة الجنة)، قالها عاصم بصوت خفيض لداليا التي أخرجت سيجارة وجلست تنفث دخانها محاولة إخفاء توترها وهي تشاهد

فريستها تفلت من براثنها لكنها لم تتمالك نفسها وتقول لعاصم وهي لا تكاد تظهر تحرك شفتيها: (أظننا يجب أن نجيد التفكير في خطة إنهاء هذا الأمر السخيف)، يمط عاصم شفتيه ويقول (لا تتعجلي .. انتظار التوقيت المناسب نصف إنهاء المهمة)، تدهس داليا سيجارتها بقدمها بحنق وتقول: (يال برود أعصابك) هنا يقرب ضخم الجثة وجهه من المرأة ويقول: (برود الأعصاب هو ما يبقي رجل مثلي في موقعه للأبد .. أما التوتر فهو ما يقضي على الحمقى)، تفكر داليا في جملة عاصم للحظة ثم تقوم فجأة لتشارك النساء التصفيق والرقص احتفالًا بالعروسين اللذين تخطط للقضاء على مشروع زواجهما .

***

(أنا خائفة طوال الوقت .. قد لا تصدق هذه الجملة من امراة مثلي أيها الطبيب النفسي .. وربما تتسائل كيف

يتمكن الخوف من امرأة تتحكم في كل شيئ حولها .. أتعرف .. تلك أولى الحقائق التي أكشفها لك بعدما حاولت إخفاءها عنك طويلًا)، تنهي لوتس جملتها ثم تتفرس في ملامح خليل الذي تمكن منه الشرود وسط جلستهما العلاجية لكنه سرعان ما انتبه وقال: (أتعرفين أنني أخاف كثيرًا أيضًا) هنا تعتدل لوتس من جلستها المسترخية على الأريكة بحماسة وتقول بفضول ومرح طفوليين: (ومَّمَ تخاف؟) يقهقه خليل ثم يقوم لتحضير قهوته على السبرتاية النحاسية ويقول: (الأبلغ أن تسألي ممَّ لا تخاف .. أتعرفين أنك أكبر مخاوفي أيتها المرأة الخائفة؟) هنا تبتسم لوتس بزهو للحظة لكنها سرعان ما تعقد حاجبيها ممثلة الاستنكار فيواصل خليل حديثه وهو يناولها فنجان قهوة ويجلس ليرتشف الرشفة الأولى من الآخر ثم يقول: (لا حاجة لك باستنكار ما تعشقين .. أنت امرأة تعشق السيطرة والخوف هو أحد أهم أسلحة هواة السيطرة .. لكني سأخيب آمالك للأسف فخوفي منك ليس خوفًا من سلطتك أو من طردي

من جنتك .. إنه خوف من فشلي في علاجك وذهاب مجهودي سدىً وتحولك لوحش حقيقي يفتك بكل من حوله ويدمرهم .. حينها سيقتلني الشعور بالفشل .. أترين أنا أخاف الفشل .. اخاف أن يكتب على شاهد قبري المتجسد في خيالي "مات فاشلًا" .. لكنْ أخبريني لماذا قررتِ فجأة مصارحتي بأشياء كنتِ تخفينها عني؟)، تعود لوتس للاسترخاء على الأريكة وتقول: (ليس هذا هو الأمر الوحيد الذي سأصارحك به اليوم) تتسع حدقتا خليل ويضع فنجان قهوته جانبًا ويقول بترقب يكاد يقفز من عينيه ليمسك بتلابيبها ويستجوبها: (أهناك أمور أخرى؟) تقهقه المرأة ثم تخرج من حقيبتها سيجارة وتشعلها فيظهر الاضطراب على وجه خليل ويقول بخيبة أمل: (لا تقولي أن مصارحتك لي أنك تدخنين هو ما أخفيتِ عني)، تنفث لوتس دخان سيجارتها وتقول: (هو ليس بالأمر الهين .. فالأمر المخفي لوقت طويل يثير زوبعة عند كشفه مهما بلغت تفاهته .. ولكن اطمئن فالليلة سأشبع فضولك لمعرفة المزيد عني .. ربما سيكون السرُّ الذي

سأخرجه من أعمق آبار أسراري هو أكثر ما سأقوله لك صراحة في حياتي .. أتدري لم أكن أتخيل أن أطلعك على هذا الأمر أبدًا أيها المتذاكي المتفلسف .. ما كنت أخفيه عنك وعن كل من حولي .. أنني لست صاحبة الجنة) وكانت تلك الجملة القصيرة الأخيرة كافية لكي يفتح خليل فمه كشاب قروي ساذج شاهد راقصة شبه عارية للمرة الأولى في حياته.

أعدت داليا خطة محكمة لإفشال علاقة معتز وسهى أشرف عليها عاصم لكنه حاول ألا يظهر شغفه الشديد بالأمر لكي لا تفضح أمام داليا رغبته في افتراس سهى (أنا أعرف أنك تريد الشابة كما أريد أنا الشاب)، صدمت جملة داليا الرجل ضخم الجثة الذي استطاع كبح جماح ملامحه بصعوبة لتظل هادئة أمامها ثم قال بفتور مصطنع: (وليكن) تقفز داليا من جلستها بسعادة ثم تتقافز بسعادة لكون تخمينها كان في محله فيظهر الغضب على وجه عاصم

ويقول: (كفاكِ ألاعيب أطفال واجلسي لنكمل مراجعة الخطة .. وإلا ألغيتها)، هنا تجلس داليا بسرعة كقطة مستكينة في حضن صاحبها فيقول ضخم الجثة: (لن تحتمل الشابة رؤية حبيبها في أحضان امرأة أخرى .. ولكن الإعداد لذلك سيتطلب مجهودًا كبيرًا .. لذا سنكتفي بزرع الشك في نفسها .. الليلة ستمرين عليها بحجة حاجتك لترجمة خطاب مرسل لك من الخارج .. وستتظاهرين بالتواضع على عكس عادتك .. وذلك طبعًا لأنك ستزورينها بنفسك .. وفي الوقت المحدد ستغادرين وتجذبينها لخارج كوخها بأطراف حديث لم ينتهِ بينكما .. حينها سترى امرأة شبه عارية تترنح من آثار السكر تسير مبتعدة عن باب كوخ حبيبها وتستقل سيارة كهربائية وتنصرف فيحين دورك لإشغال نيران غيرتها بجمل نسائية خبيثة تجعلها تنفجر في وجه الحبيب الغافل الذي سينكر كل شئ فتتأكد من كذبه وتفسخ خطبتها في غمرة الغضب)، كانت خطة شيطانية بحق نفذتها داليا بحذافيرها وانتهى الأمر بصفعة على وجه معتز المذهول من اتهام سهى

الغاضبة وتجرئها على صفعه والذي لم يدر ماذا يفعل وهي تلقي خاتم الخطبة في وجهه تنصرف باكية منهارة نحو كوخها .. هنا تبتسم داليا ويتسع فمها كأفعى أناكوندا تستعد لالتهام تمساح ضخم .

(إذنْ فأنتِ لا تملكين سوى القصر وبعض الأراضي المحيطة به .. وبقية المساحة الشاسعة من الجنة منحت لك من الدولة والمنظمات الإنسانية لكي تأوي بها الأهالي وتقومي برعايتهم وتوفير حياة كريمة لهم) قال خليل جملته وهو مشدوه تتخطفه أفكار متعددة فتنكس لوتس رأسها وتقول بمسكنة (القصر وما حوله كلفوني ثروة طائلة وخاصة وهي في مكان معزول أنفقت الكثير على إنشاء الطريق له لأبتعد عن أعين الفضوليين والطامعين .. وعرض الدولة والمنظمات الانسانية كان مغريًا جدًا .. فهو سيجعلني أملك كل ما حولي من الأرض .. وأؤلئك الناس كانوا من البدو

المقيمين بالصحراء يعيشون في خيام بالية وبعضهم كان في قرى مجهولة .. فقمت بجمعهم في جنتي وقدمت لهم عملًا .. ألا يجعلني ذلك محسنة كبيرة؟!) يتأمل خليل وجه لوتس الذي يراه على حقيقته للمرة الأولى بعدما عرف سر إصرارها على محبة الجميع لها .. فكراهيتهم تعني فقدانها الحتمي لتلك الجنة التي تعيش كملكة متوجة بداخلها لكنَّ سؤال ألح على ذهنه فقال: (وماذا يهمك إن فقدت تلك الجنة .. ستعيشين في قصرك كسيدة القصر .. لديك خدم وثروة واحترام و) هنا تقاطعه لوتس وتقول: (هناك الملايين من سيدات القصور لكن الملكات نادرات .. أنت لا تعرف ماذا تمنحك السلطة المطلقة .. إنها تجعلك شبه إله في أعين الجميع .. ربما لا تدرك لذة السيطرة والسيادة فأنت لم تجربهما ولا تطمح لهما أبدًا بأفكارك الفلسفية الموبوءة بتساوي البشر .. كيف يتساوى البشر وفيهم الأغبياء والكسالى ومحدودي القدرات .. بالتأكيد هم ليسوا متساويين .. إن قوة أكبر منا قامت بتقسيم هذا العالم

لسادة وعبيد أيها المتفلسف)، ينكس خليل رأسه للحظة جعلت لوتس تظنه بهت من قوة منطقها لكنه يعود لرفع رأسه ويتفرس في ملامحها ويقول: (أنا أستطيع علاج العديد من الامرأض النفسية .. ربما يمكنني تحويل مجنون بالكامل إلى شخص سوي .. لكن ما تعانينه شيئ يعجز الأطباء فيه .. فأنت لست مريضة .. بل هي تركيبتك الشخصية المريضة ما تعانين منه .. إن البشر المتفاوتين في درجات الذكاء والقدرات .. متساوون في حقهم في الحياة وفي العدالة .. لكنك أنت وأمثالك من السلطويين تريدين سلبهم هذين الحقين بادعاءات كاذبة كتقسيم الله للناس كسادة وعبيد .. إن النفوس المهووسة بالسيطرة والسيادة ما هي إلا براميل فارغة تريد أن تملأ نفسها بزعامة أو سلطة لتتخلص من الفراغ الموجود بداخلها .. الحمقى فقط هم من يسعدون بالشعور أنهم أشباه آلهة .. فهذا معناه أنهم في الدرك الأسفل من البعد عن الحقيقة والخالق .. أما الأسوياء من الناس فهم من يحمدون إلههم العظيم على ما يفضلهم به

عن غيرهم ويظهرون شكرهم وامتنانهم له بمساعدة من هم أقل منهم وعدم التعالي عليهم) تهت لوتس بحق لدرجة أن دمعة تكاد تنساب من جبينها بعدما هدم خليل منطقها فوق رأسها لكن الرجل لم يكتفِ بما قاله وأردف قائلًا: (أنتِ لم تكوني ستصارحيني بسر عظيم مثل كونك لست صاحبة الجنة إلا وأنت مرغمة .. أليس كذلك؟) تشعل لوتس سيجارة والشرر يتطاير من عينيها وتقول: (أجل .. غدًا ستأتي لجنة من المنظمات الإنسانية لتفقد الأوضاع بالجنة .. وستعرف لا محالة .. كنت آمل أن يطمئنني حواري معك الليلة عن الأمر .. لكنك عكرت مزاجي بدلًا من ذلك) يقف خليل ويسير نحو لوتس ثم يجذبها من ذراعيها لتقف بشكل فجائي ويحكم قبضتيه على ذراعيها بقوة وهو يحدق في عينيها بتحدي شديد ويقول: (مزاجك المعكر هو أقل ما يعنينا .. يا من تركين أهالي جنتك يموتون بنهش الذئاب لشهور توفيرًا للنفقات .. وعندما تسكنين من منحت جنتك لأجلهم في خرائب مسماة كذبًا بالمنازل .. كجنتك المتخمة

بالكذب .. أتعرفين ماذا أسمي جنتك يا حمقاء .، أسميها جنة الأكاذيب .. إنه اسم متسق مع كل شيئ فيها .. حتى أنت لا تستطيعين العيش بداخلها إلا بارتداء الأكاذيب .. أنت لا تريدين العلاج من أي شيئ .. ربما فقط تريحين حطام ضميرك بوجودي .. وتخبرين من يرون حقائقك العالية أنك تحاولين التخلص من وحشيتك وقلبك الذي مُحت انسانيته بطبيب نفسي .. ربما من الأفضل أن ننهى هذا السخف .. وأغادر جنتك يا .. صاحبة الجنة)، يرخي خليل قبضتيه الممسكتين بلوتس ليفلتها بعدما انتابتها رعشة من تحديه الفجائي لها .. فيزفر الرجل ثم يستدير خارجًا من الحجرة فتقول لوتس بصوت واهن: (أرجوك لا ترحل .. ربما كنت كما ذكرت .. لكنك الصوت الوحيد الذي يضيء أنوار الإنسانية في كياني .. ربما تظهر تلك الأنوار خافتة لظلمة نفسي الشديدة .. لكنها تمنحني كلَّ ما أمنحه من الرحمة .. إن رحلت فستتحمل مسئولية انعدام الرحمة من قلبي فأنت من تخليت عني حين استنجدت بك)، يغمض خليل عينيه

للحظة ثم يفتحهما ويلتفت على مضض ليجد لوتس لوحة متجسدة من التوتر والاضطراب فتظهر الحيرة على ملامحه .. لكنه يغادر دون أن يفصح لها عمَّ ينوي فعله.

فوجيء خليل عند عودته بما حدث بين معتز وسهى وفشلت كل محاولاته المستميتة لتهدئتهما أو لجعلهما يجتمعان للحظة في مكان واحد فأجل الأمر لوقت آخر؛ فقد كانت أعصابه مشدودة جدًا والتوتر يتملكه بعد جلسة الصراحة الغير متوقعة مع لوتس .. فكر في جمع ملابسه وحاجياته والرحيل فورًا لكن جملة لوتس الأخيرة جعلته يتأنى فربما بالفعل كان هو آخر رابط لها بالرحمة والإنسانية، هنا سمع صوت طرقات رزينة على باب كوخه وعندما فتح الباب عرف سبب إفشاء لوتس لسرها فلجنة الجمعيات الإنسانية كانت ستطرق بابه لا محالة كأحد السكان البارزين في جنة لوتس والذي سيعتبر تقييمه لها

مهمًا في تقريرهم .. هذا هو الأمر الذي فوجئت به لوتس عندما طلبت اللجنة اللقاء بالعاملين في المناصب رفيعة المستوى لديها ولم يكن لديها إلا خمسة أشخاص لهم تلك الصفة .. اثنان منهم تسيطر عليهم هم ضخم الجثة ودواليا وثلاثة خارجون عن السيطرة إلى حد ما هم خليل ومعتز وسهى .. ولم يكن هناك وقت لطرد الثلاثة أو استبدالهم بآخرين .. ولم تكن تستطيع تدبير أشخاص مزيفيين ليلتقوا باللجنة بدلًا منهم .. أدرك خليل هذا بفطنته وحاول اغتنام الفرصة مع مندوبة اللجنة التي التقاها ظنًا منه أن حديثه معها قد يحسن من أوضاع أهالي الجنة المطحونين ولكن مفاجأة أخرى كانت في انتظاره عندما قالت له مندوبة اللجنة :(نحن نعرف معظم ما قلته عن معاناة سكان الجنة .. فمنازل الأهالي الفقيرة شيئ لا يخفى على أحد .. لكن الموضوع في غاية التعقيد .. فالسيدة لوتس تملك القصر وما حوله .. ولا يمكننا أن ننزع ملكية الجنة منها وهي تملك ذلك القصر في منتصفها .. لحسن الحظ هي لا تعرف ذلك

وتحاول إرضائنا طوال الوقت وتحسين معيشة الأهالي .. لكن إن كان هناك من أهلها من يستطيع أن ينتزع ملكية القصر سواء بعد وفاتها أو بالحجر عليها مثلًا في هذه الحالة فقط سنرحب بمدير ومالك جديد للجنة .. وإن لم يحدث هذا فليس أمامنا سوى الانتظار .. ربما قام الأهالي اعتراضًا على إدارتها للأمور بأمر من خارج المعادلة التي نعرفها .. لكنه أمر نادر الحدوث وسيسبب تغييرًا كبيرًا في مجريات الأمور)، تتسع حدقتا خليل ثم يقول وابتسامة ساخرة تغمر وجهه في حين تتقد الحسرة داخل عينيه في مزيج عجيب: (إذن فوجودكم هنا أمر روتيني ديكوري ليس إلا) تمطّ المندوبة شفتيها ثم تقول: (ربما هو محاولة يائسة .. أو كل ما نستطيع فعله .. بالظبط كمحاولتك لتعريفي بما يدور هنا .. أليس محاولة يائسة .. وكل ما تستطيع فعله؟)، يغمض خليل عينيه طويلًا وكأنه لم يعد يريد أن يرى مندوبة لجنة المنظمات الإنسانية وبالفعل تدرك المرأة هذا فتنصرف ولا يجدها أمامه عندما يعيد فتح عينيه مرة أخرى، ظنَّ للحظة

أنها حلم؛ لكن رؤيته لها في الحفلة التي أقامتها لوتس لمندوبي اللجنة مساء جعله يدرك أنه لم يكن يحلم وأن ما يحياه سكان جنة الأكاذيب أمر واقع لا مفر منه إلا بحدوث ما يشبه المعجزة .. في تلك الليلة حاول الرجل الجمع بين معتز وسهى المدعوين للحفلة مثله لكن كلاهما تملكه الكبر ورفض لقاء الآخر .. مما أشعل نيران السعادة في عيني عاصم وداليا بعد نجاح خطتهما الكبيرة .

كان يسير مدفوعًا برغبته الجامحة .. لم يستطع الانتظار ليلة أخرى .. وكيف وهو رغم سلطته الكاملة لا يستطيع تذوق ما تشتهيه نفسه رغم وجوده داخل حدود سلطته .. تسلل عاصم هذه المرة من باب الكوخ حتى جلس على طرف فراش سهى الغارقة في نومها بعد سيل من الدموع والأحزان بلل وسادتها لساعات طويلة .. يمرر ضخم الجثة يده على شعر الشابة النائمة فتفتح عيناها بتثاقل

لكنها لا تصدم برؤيته فقد انتظرتها لليال عدة منذ فاجأها باقتحامه الأول لكوخها: ( أتظنني فريسة سهلة؟) قالتها سهى بهدوء فاجأ عاصم فابتسم وقال: (ربما كان قتال الفريسة قبل افتراسك لها تغييرًا جذريًا للأسد .. لكنه يلتهمها في كل الأحوال)، أنهى عاصم جملته ثم وقف وخلع سترته وألقاها على الأريكة وانقض على سهى التي عاجلته بضربة من مشرط كانت تخفيه تحت وسادتها منذ فاجأها في المرة الأولى .. سالت دماء عاصم من جرح سطحي سببته له ضربة المشرط في وجهه .. لكن هذا لم يزده إلا غضبًا ورغبته في الانقضاض على سهى التي تعالت صرخاتها بشكل هستيري وأغمضت عيناها بعدما أطاح ضخم الجثة بالمشرط من يدها بلكمة خاطفة .. لكن أيادٍ أخرى تولت الدفاع عن الشابة المسكينة كانت أيدي معتز وخليل الذين هرعا للكوخ على إثر صرخات الشابة المسكينة .. كان عراكًا طويلًا .. أوذي فيه الرجال الثلاثة وذاق كل طرف بأس الآخر لدقائق .. وحينما يئس عاصم من قدرته على الفوز بعراك شريف

أخرج مسدسه من جرابه تحت إبطه ولوح به في وجه غريميه (أيها الجبان .. لن تتغير أبدًا)، قالها معتز وهو يمسح الدماء التي سالت على وجهه وحين هم بالانقضاض على ضخم الجثة رغم إمساكه بمسدسه أمسك خليل بذراعه بقوة ومنعه من التقدم نحوه وقال: (كما قال الشاب .. أنت لن تتغير .. ولكن هذه المرة أنت لا تستطيع فعل أي شيئ .. فقد أخبرت مندوبي اللجنة بمخاوفي منك وما فعلته في المرة السابقة .. وإن قتلتنا ستصبح المتهم المدان لا محالة)، أرخى عاصم قبضته عن مسدسه ثم قال: (أيها النذل .. أتسميني بالجبان عندما أستعين بمسدسي وتستعين أنت بمن هم من خارج جنتنا؟) يقهقه خليل ويقول: (وكيف لا أفعل وأنت تهددنا بالقتل طوال الوقت وتشهر مسدسك في وجوهنا رغم كوننا عزل من السلاح .. كيف تصدق تزييفك الساذج للحقائق بهذا الشكل .. أتظن الجميع حمقى لهذه الدرجة)، هنا تصرخ سهى بشكل هيستيري صرخات متتابعة تجعل عاصم يعيد مسدسه

لمكانه ويغادر الكوخ وهو يجرّ أذيال الخيبة بعد أن فشل في افتراس الشابة للمرة الثانية .. وتم قطع هدنته مع الرجلين الذين تجرأ على مواجهته وتسديد اللكمات لوجهه غير عابئين بأي شيئ .. قطع عاصم خطوات قليلة خارج الكوخ ثم استدار ناحيته وتحسس مسدسه لكنه تذكر تهديد خليل ووجد نفسه سيدان بسهولة خاصة وأن مندوبي اللجنة غادروا للتو ولن يكون بوسعه إخفاء جريمته .. لكنه في النهاية لم يستطع كبح جماح غضبه وأخرج مسدسه وتوجه ناحية الكوخ ليقضي على من فيه .

***

(ماذا تفعل يا سيد عاصم؟)، قالها صوت طفولي لم يتوقع ضخم الجثة سماعه أبدًا كان صوت الطفل هيثم الذي جعل الرجل يتسمر مكانه ويستدير ليرى الطفل ومعه هاني وجمع كبير من الأطفال يقفون على بعد خطوات وكأنهم جاؤوا من العدم .. يبتلع عاصم ريقه بصعوبة ويعيد مسدسه إلى مكانه: (لا شيئ .. ماذا جاء بكم أيها الصغار إلى هنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟)، يرد الطفل هاني ببراءة: (اتفقنا مع بقية الفريق على القيام بتدريب ليلي وجئنا نستأذن المدرب)، هنا يخرج معتز وخليل وسهى وينغمسون في وسط الأطفال ويقول معتز : (أوافق بكل تأكيد .. بل وسنحضر جميعًا التدريب معكم فهو تدريب في وقته المثالي كما يقال)، وقف عاصم يجز على أسنانه وهو يشاهد انصراف الثلاثة بملابس النوم مع الصغار .. وما هي إلا لحظات وكان الثلاثة يستقلون سيارة معتز التي كانت مركونة بالجراج ويهمون بالهروب من الجنة التي تحولت إلى جحيم يكاد يؤدي بحياتهم ولكن بمجرد تحرك السيارة

يوقفها بعض الحراس ويظهر عاصم خلفهم ممسكًا بمسدسه وهو يقول: (إن مغادرتكم في هذه الساعة المتأخرة من الليل يثير شكوك رجل أمن مثلي بالتأكيد .. وهذا هو ما جعلني أنا وحراسي نطلق الرصاص على اللصوص الهاربين الذين قاموا بسرقة ممتلكات ثمينة وكادوا يلوذون بالفرار .. الملابسات والشهود سيكفون إن حدث أي تحقيق بالأمر)، يوجِّه عاصم فوهة مسدسه نحو الثلاثة ويتبعه حراسه الذين تجمدت ملامحهم ونظراتهم وكأنهم تماثيل حجرية فتتعالى صيحات داليا التي أتت تعدو من بعيد وهي تأمر عاصم بالانتظار وحينما تصل له لاهثة تتبادل معه نظرة ذات مغزى تجعله يخفض مسدسه ويشير لرجاله بالانصراف .. يتعجب الثلاثة مما يحدث بعد أن كانوا على وشك الموت .. وهنا تظهر لوتس التي تقترب بخطوات هادئة وبرفقتها الأطفال الثلاثة يمسكون بأيدي بعضهم ويدها وتقول: (دعهم ينصرفون إن كانت تلك رغبتهم يا سيد عاصم .. إن كان قرارهم الهروب من الجنة فهم أحرار.. ولكن يجب علينا

تحذيرهم أن الوقود الموجود بالسيارة قد لا يكفي لرحلتهم الطويلة .. وربما يجدون انفسهم فريسة سهلة للذئاب في الصحراء المحيطة بنا .. ربما يجب أن يستمعوا إلى نصيحتنا وينتظروا عودة السائق ليزودهم ببعض من الوقود الإضافي إن كانوا مصرين على الرحيل عنا) يتوجه الأطفال للسيارة ويرجون الجالسين فيها لكي لا يغادروا فيظهر التأثر على الثلاثة بعدما عانقهم الأطفال ورجوهم ويتبادلون نظرات الحيرة ولكن معتز يتخذ قراره ويدير محرك السيارة ويتجه بها للخروج من بوابة الجنة؛ هنا تقول لوتس ببراءة شديدة: (أرأيتم يا صغاري .. لقد فعلنا كل ما في وسعنا لمنعهم من المخاطرة بحياتهم .. لكنهم أصروا على خوض التجربة)، يغادر معتز بوابة الجنة فيجز عاصم على أسنانه وتشعل داليا سيجارتها بتوتر شديد لكنه لم يكن يقارن ببركان الغضب المتقد في عيني صاحبة الجنة التي تحققت أكبر مخاوفها بمغادرة كبار العاملين لديها مجتمعين فجأة .. والذين لا شك سيتوجهون إلى المنظمة الإنسانية ويحرضونها

ضدها .. لكن نظرة اطمئنان ظهرت في عين عاصم ذكرتها أنها رغم خروج الأمر عن السيطرة ما زال للطبيعة الموحشة حول جنتها كلمة ستقال .

(من يريد أن يرى السعادة الأسطورية المتجسدة في ثلاثة أشخاص لابدّ وأن ينظر لنا الآن)، قالتها سهى بعد موجة من التهليل وصيحات السعادة أطلقها الثلاثة فور الخروج من بوابة الجنة فيقول خليل بمرح طفولي: (أتعرفون أشعر أنني قد عدت طفلًا لم يتعد العاشرة من العمر.. ويرغب في احتضان العالم بذراعيه الصغيرين بعدما تلقى هدية تمناها طول حياته)، يستوقف التشبيه سهى ومعتز الذي يقول: (أظن تحذير لوتس بشأن الوقود

والمسافة مجرد تخويف ليس إلا .. أليس كذلك ؟) تقع جملة الشاب كقنبلة فجرت السعادة التي كانت تتقافز في نفوسهم ومحت آثارها فجأة وامتقع وجه خليل وقال: (ألا تعرف ما الوقود الذي تحتاجه حتى تصل لأول محطة وقود في طريقنا؟) يظهر الارتباك على وجه معتز ويقول: (لقد توقفت بي السيارة وأنا في طريقي إلى هنا .. ولكن السائق قد ملأ خزان السيارة على آخره بعد عودتي)، هنا يظهر التوتر في نبرات صوت سهى وهي تقول: (وما أدراك أن خزان تلك السيارة الصغيرة سيكفي حتى أقرب محطة وقود .. ربما كنا في احتياج إلى وقود إضافي كما قالت المراة)، هنا يصيح معتز حانقًا: (وكيف أصدق أي شيئ من صاحبة جنة الأكاذيب الملعونة)، هنا وقبل أن يقول أيٌّ منهم كلمة أخرى يتعالى صوت احتكاك معدني فيتوقف معتز بالسيارة ويهبط ثلاثتهم ليفاجأوا بأن إطارين من إطارات السيارة قد دمرا بالكامل بعد أن سار بهم معتز لمسافة طويلة وهم فارغين من الهواء .. (حسنًا .. هكذا لا حاجة لنا بالقلق بشأن الوقود) قالها

خليل فانفجر الثلاثة ضاحكين ثم ارتموا على الأرض ليجلسوا مستندين على السيارة وتقول سهى (يكفيك عزاء أن التوتر الذي كنا فيه لم يكن يسمح لك بالتأكد من عجلات السيارة .. ففي النهاية هو ليس خطؤك الذي أودى بنا إلى تلك النهاية)، يعقد معتز حاجبيه ويقول: (ومن قال إنها نهايتنا .. يمكننا السير)، ينكس خليل رأسه يقول: (من الحكمة أن نتقبل النهاية عندما تصير حتمية .. لقد ابتعدنا بما فيه الكفاية عن الجنة ليصبح تراجعنا هو وضعنا على طبق وتقديمنا للذئاب التي تسكن الطريق حولنا .. كما أن التقدم هو نفس النتيجة ولكن مع الأمل الممزوج بالكرامة بنجاح هروبنا والخلاص من ذلك الكابوس) أنهى خليل جملته فساد الصمت للحظة قصيرة لينهيه صوت عواء ذئاب آت من بعيد .. فتقول سهى: (أظن النهاية التي تأتي ونحن نسير في طريق الأمل والكرامة هي أجمل نهاية يمكن أن يحصل عليها إنسان في مثل موقفنا)، بدون تفكير أو نقاش يقف الثلاثة ويسيرون في الطريق المعاكس لاتجاه جنة لوتس

مواصلين ابتعادهم عنها وعواء الذئاب يمنح المشهد طابعًا أسطوريًا خاصة حينما مدت سهى كفها الرقيق واحتضنت به كف معتز الذي غمرت السعادة وجهه ووضع ذراعه على كتف خليل ليسير الثلاثة معًا كأنهم أسرة صغيرة تتمشى بأحد المصايف غير عابئة بشيئ .. (أتعرفون .. ربما أخطأنا بالهروب من الجنة .. كان من الممكن أن نحاول تغييرها لو تحلينا ببعض الصبر)، قالها خليل وهو شارد الذهن بعد أن قطعوا عدة كيلومترات في الصحراء المظلمة فتبتسم سهى وتقول: (من السهل عليك قول هذا فأنت لم تكن مهدد بالاغتصاب من ذلك الوحش)، ينظر خليل للبراءة المشعة من عيني سهى التي ظهرت جلية رغم الظلام المحيط بهم فينكس رأسه ويصمت ليقول معتز: (ربما كل منا كان مهددًا بطريقة أو بأخرى أليس كذلك؟)، يمط خليل شفتيه ويقول: (بالتأكيد .. وربما كان الاغتصاب الفكري أشد وطأة من اغتصاب الجسد .. فهو اغتصاب لا ينقطع ولا يتوقف للحظة بينما اغتصاب الجسد قد يتوقف)، هنا تقول سهى

بغضب: (ولكن الخوف من تكرار الاغتصاب أفظع من الاغتصاب نفسه إنه متواصل ولا يتوقف هو الآخر)، يحاول معتز تهدئة سهى ويضمها بذراع واحد نحو صدره للحظة ثم يقول: (كلا الأمرين بشع لا شك .. لكن أتعرفون ما هو الأكثر بشاعة .. هو أن تكون مجبرًا على السير تجاه مغتصبك بإرادتك الكاملة بعدما يحكم قبضته عليك ولا يترك أمامك إلا الانصياع لأوامره .. إن أسوأ المشاعر التي من الممكن أن تتملك الإنسان هي مشاعره حينما يرى مغتصبه يبتسم في وداعه وكأنه محسن كبير وتكون مضطرًا أن تظهر الامتنان الزائف له بمنتهى الإذلال .. لا أمل في تغيير تلك الجنة أيها الفيلسوف .. فأمراضها مزمنة وروحها مرهقة من شرورها القديمة .. ولا شفاء لها إلا بمنحها جسد وروح جديدين .. وهو شيئ لا يملكه البشر) يهز خليل رأسه ويقول (صدقت .. ولكن الله يملك ذلك .. مشكلة البشر أنهم كثيرًا عندما تتعقد وتتشابك الأمور حولهم يخرجون الله من المعادلة ..

وينسون أن أصعب التعقيدات بالنسبة لقدراتهم .. تحل بأتفه الأسباب لدى خالقهم) ...

تتسع حدقتا الشمس حينما ترى الثلاثة ما زالوا أحياء عندما بسطت خيوط أشعتها الأولى على الصحراء؛ لكن دهشتها تتبدد عندما ذئبان يحاولان اللحاق بتلك الفريسة السهلة التي أهدتها لها الأقدار .. ينتبه الثلاثة لاقتراب الذئبين فيبدئون بالركض بكل ما يملكون من قوة فهم حرفيًا يحاولون الفرار من الموت .

استطاع أحد الذئبين اللحاق بخليل والانقضاض عليه وبينما هو يصارعه محاولًا الدفاع عن نفسه يتوقف معتز ويستدير عائدًا لمساندة صديقه فتقف سهى بدورها والفزع يملأ عينيها الدامعتين وهي تترقب مصير حبيبها وصديقهم ونفسها فالذئب الآخر يواصل الاقتراب منهم دون توقف .. لكن صوت السيارة الذي قطع صوت عواء الذئاب ثم صوت الطلقات النارية التي أطلقها السائق مصيبًا أحد الذئبين في مقتل جعل الذئب الآخر يلوذ بالفرار .. يشير السائق لثلاثتهم بركوب السيارة فيستقلونها دون نقاش .. كانت الخدوش والجروح تملأ وجه خليل ومعتز بعد صراعهم مع الذئب فانشغلا مع سهى بمحاولة تضميد تلك الجروح ولم يناقشا السائق وهو يكمل طريقه عائدًا بهم مرة أخرى نحو جنة الأكاذيب.

ملأ الزهو أعين الجالسين في كرمة العنب عندما رأوا السائق يعدو بالثلاثة وقد ملأت الجراح والخدوش وجهي اثنين منهما وتقطعت ملابسهما .. :(ياله من مشهد يستحق المشاهدة)، قالتها لوتس وهي تتناول قطعة فاكهة من الطاولة أمامها وتلتهما بتلذذ كبير لكنه كان أقل بكثير من تلذذ عينيها وهما يشاهدان الثلاثة يسيرون نحوها وهم يجرون أذيال الخيبة خلفهم .. لم يستطع خليل مواجهة نظرات السخرية والتشفي التي ترشقهم كسهام نارية من أعين الجالسين تحت كرمة العنب فينكس رأسه ثم يجلس مفترشًا الأرض فيتبعه معتز وسهى دون أن ينطق أي منهم ببنت شفة هنا تقف داليا وتتأمل الثلاثة وابتسامتها الواسعة لا تفارق وجهها والشماتة تتجلى في عينيها وتقول: (ألم أقل لك أنه لا داع من طلب موظفين جدد يا صاحبة الجنة .. فموظفونا القدامى لن يطيقوا البعد عنا وسيعودون إلينا في أسرع وقت)، هنا يقهقه عاصم ويلتقط موزة ويبدأ في تقشيرها وهو يقول: (لكني لم أتخيل يا عزيزتي

داليا هانم .. أن بُعدنا عنهم سيصيبهم بجراح جسدية .. كنت أظن جراح الفراق تصيب القلب ولا يراها أحد)، تنفجر داليا ضاحكة مع عاصم فتشير لوتس بيدها لهما فيظهر الحنق عليهما من قطعها للذة تشفيهما بالمتمردين الثلاثة لكنهما يتوقفان عن الضحك ويسود الصمت للحظة فيرفع خليل رأسه ويقول: (إذن .. فمن الآن ستكون كل الحقائق عارية بيننا نحن الستة .. وبالرغم من هذا فكل منا مطالب بمواصلة تمثيل دوره وكأنه لا يعرف شيئًا عن حقيقة الآخر .. حسنًا .. ربما كان هذا اختيار يستحق التفكير .. لكن اختيار الرحيل ما زال متاحًا أمامنا خاصة بعد أن وصل السائق ويمكننا مداواة جراحنا وأخذ الوقود الإضافي ومغادرة جنتك يا صاحبة الجنة)، تقطب سهى حاجبيها وتقول بحنق: (كيف يكون اختيار بقائنا هنا متاحًا من وجهة نظرك وهذا الوحش لا يريد الكف عن ملاحقتي)، تقف داليا وتسير نحو سهى وتقول: (يمكنك طلب تركيب ترباس لبابك .. ألم يخطر ذلك ببالك من قبل؟ .. أم أن غرورك الأنثوي كان

يريد معرفة أسيكرر من تصفينه وحشًا ملاحقتك أم لا) تتسع حدقتا الشابة إثر جملة داليا وخاصة بعدما رمقها معتز بنظرة غاضبة سرعان ما تلاشت عندما لمح البراءة تتجسد في عينيها ودمعة تنساب منها على وجنتها فيقول: (وبماذا ستفيدنا الترابيس .. إذا كان من سيهاجموننا يمكنهم ركل الأبواب بأقدامهم وتحطيمها دون أن يخشوا محاسبة أو حتى لوم من أحد .. بل والأدهى أن قد يضعوننا في فخ لا خروج منه إلا بالارتماء تحت أقدامهم طائعين صاغرين) تمط لوتس شفتيها وتقول:(كلٌّ منا له قدراته .. فلا تمثلوا أنكم لا تعرفون قدراتكم الصغار يحبانكما أنت ومعلمتنا الشقراء .. وقد رأيت بنفسك كيف ترجوكما ألا تغادرا .. وأنا لا أستطيع التفريط في أفضل طبيب بيطري عمل لدي منذ أنشأت الجنة .. أما ابن أختي فقد وعدني أن يدعكم وشأنكم طالما التزمتم بمهامكم هنا فقط .. وتوقفتم عن الثرثرة التي لا طائل منها)، هنا يستند خليل على معتز ليقف على قدميه ويحدق في لوتس بتحدي واضح ويقول: (أخبريني

يا صاحبة الجنة .. ألهذه الدرجة سيكون استبدالنا صعبًا .. أسبب ذلك هو معرفة لجنة المنظمات الإنسانية لنا بعد زيارتها الأخيرة .. أم تراه كوننا نعرف العديد من الأسرار التي تحرصين على بقائها داخل أسوار جنتك)، تقف لوتس بدورها وتسير مقتربة من خليل لكنها تتوقف دون أن تهبط درجات كرمة العنب الخشبية لتظل مرتفعة عنه وتقول: (من حسن حظكم أن هناك ما يدفعني للاحتفاظ بكم .. أمامكم عرض سخي سأتغاضى فيه عن كل ما فعلتم وعن محاولتكم الهروب من جنتي .. لا أنكر أنه عرض محفوف بالقليل من المخاطرة .. لكنها مخاطرة أقل بكثير من محاولتكم عبور تلك الصحراء المليئة بالذئاب .. لا تنسوا أنكم الآن مدينون بحياتكم لي .. بعد أن أنقذها سائقي .. وأن رحيلكم سيجعلكم في أعين الجميع مجرد ناكرين للجميل)، يقف عاصم بدوره ويسير ليقف بجوار لوتس ويقول بتصنع بالغ للتقوى: (أنا أشهد الله أنني سأدعكم وشأنكم إن التزمتم بوظائفكم وتوقفتم عن الثرثرة مع كل أذن تطأ

الجنة)، تربت داليا بحنو بالغ على كتف سهى وتقول (أرأيتِ .. لا داع إذن للرحيل .. فالصغار يحبونكم كثيرًا .. أتتخلين عنهم .. أتدرين لقد ناقشت اليوم مع صاحبة الجنة أمر إنشائك لفصل دراسي تعلمين فيه أبناء الأهالي .. أستتخلين عنهم أيضًا) يظهر التفكير والتأثر على ملامح سهى وتتبادل نظرة حائرة مع معتز الذي يقف بدوره ويقول:(لقد سمعنا وعودكم من قبل وصدقناها .. ولم ينبنا إلا تمزيق ملابسنا وجراحنا ونحن نصارع الذئاب هربًا منكم) هنا تمد سهى يدها لمعتز فيساعدها على الوقوف فتقول: (ربما كان عرضك يستحق التفكير .. خاصة بعد وعدك بأن لنا حرية محاولة تغيير الأوضاع هنا .. لكننا نحتاج إلى أكثر من الوعود .. فتجاربنا السابقة معكم كانت مريرة)، يقهقه خليل ويقول: (أنا أعرف أنهم لن يلتزموا بوعودهم أبدًا إلا وهم مرغمون على ذلك .. لكني سأحرص على أن أجعلهم مرغمين على الإيفاء بتلك الوعود طوال الوقت .. وطالما أصبحت كل الحقائق عارية .. فيجب أن أعرفكم بنفسي .. أنا الطبيب

النفسي دكتور خليل .. وقد جئت هنا لعلاج صاحبة الجنة أقصد سيدة القصر صاحبة حق إدارة الجنة .. فهي تحتاجني لتجاوز بعض مشاكلها النفسية .. أظن ثرثرتي لم تتعدانا نحن الستة ولم يستمع إليها الغرباء .. أليس كذلك يا رفاق)، تتسع أحداق الجميع لجراءة خليل وتغمض لوتس عينيها للحظة ثم تزفر بحنق وتشعل سيجارة تقول: (نحن لن نرجوكم لتبقوا معنا في الجنة .. كل ما في الأمر عرض قدمناه لكم لرغبتنا في الإبقاء عليكم .. إن كل شيئ هنا أصبح عاريًا بأعين الجميع كما أكد الطبيب من لحظات .. ربما كان ذلك أفضل من التصنع فالآن عليكم الحذر من إغضابي بشهادة طبيبي المعالج .. وربما استطعتم تغيير ما يضايقكم في جنتي .. لديكم إمكانية المحاولة دون ثرثرة مع الغرباء .. أريد أن أعود إلى فراشي الذي جعلتوني أغادره منذ انتصف الليل وأقلقتم نومي بمغادرتكم المفاجئة لجنتي التي منحتكم كل شيئ تملكونه .. وفي النهاية يا أعزائي .. أنا أمنحكم الحرية الكاملة في البقاء أو الرحيل رغم كوني

**انقذت حياتكم للتوِّ وحذرتكم من الرحيل من قبل .. أرأيتم كم أنا عطوفة وعادلة .. رجاء لا مزيد من النقاش والجدال .. فالآن .. الاختيار لكم .. إما البقاء في جنتي .. أو تكرار محاولة الهروب من الجنة .. صدقوني .. حرية الاختيار مكفولة لكم يا أعزائي ) .....**

**تمت بحمد الله**

**رواية جنة الأكاذيب**

**كتبت في الفترة من يوليو ٢٠١٩ إلى يناير ٢٠٢٠**

# خالد الشيباني

* شاعر وروائي ومؤلف سينمائي مصري من مواليد ١٩٧٩
* درس الإعلام وتخصص بالصحافة وعمل في العديد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية ثم تفرغ للكتابات الأدبية والفنية .
* عضو إتحاد كتاب مصر .
* عضو جمعيتي المؤلفين المصرية "الساسيرو" والفرنسية "الساسم"
*أول من جمع بين فنون الكتابة الفنية والأدبية الأربعة الشعر والرواية والأغنية والسيناريو.
* تغنى العديد من المطربين بأغنيات بالعامية المصرية من تأليفه من أشهرها:
"شكرًا ع الرسالة"جنات ؛ "حب من غير أمل " سوما ؛
"في ست إيام – عصفورة طايرة" بهاء سلطان ؛
"حاميها وحراميها - كلنا عبادك - حارة مزنوقة " نادر أبو الليف
"عيلين بيحلموا" مي كساب ؛ "قلبي حب" هيفاء وهبي
"لون شعرك – تفاحة آدم" كريم أبو زيد ؛

"مشيت في سكة – مش بعيد" أكمل رسلان ؛
"من هنا ورايح" ليلى غفران والكثير غيرها .
* كتب العديد من أشعار الأعمال الدرامية منها مسرحيات:
"أنا الرئيس" ؛ "سنو وايت"
ومسلسلات "حاميها وحراميها" ؛ "كلبش" ؛ "البارون"
وأفلام "حارة مزنوقة" ؛ "برد الشتا"
* ألف عددًا من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية منها فيلم "فوبيا "

## الجوائز والتكريم

التكريم من جامعة عين شمس على مجمل أعماله الفنية والأدبية

فاز بجائزة أفضل قصة وسيناريو وحوار من مهرجان "ساقية الصاوي" عن فيلمه القصير "دور شطرنج" الذي فاز بأكثر من جائزة في مونديال القاهرة للإذاعة والتلفزيون ومهرجان علوم الإعلام ومهرجان يوسف شاهين وشارك بالمسابقة الرسمية في مهرجان الأسكندرية السينمائي الدولي ومهرجان جرش الدولي بالأردن.

فاز بجائزة شهادة التميز في الشعر من المهرجان القومي للمسرح عن أشعار مسرحية سنو وايت وهو أول شاعر يحصل على جائزة في الشعر من المهرجان في تاريخه .

## صدر له

| | | |
|---|---|---|
| باق من الزمن حياتك | ( ديوان شعر ) | ٢٠٠٢ |
| رحلة الليل وحكايات النهار | (ديوان شعر) | ٢٠٠٤ |
| مجلد "السينما حياتي" | ( ٧ أفلام في كتاب) | ٢٠١٠ |
| معاهدة سلام مع القمر | (ديوان شعر) | ٢٠١٢ |
| عرشٌ لكل مواطن | (ديوان شعر) | ٢٠١٤ |
| الوصية | (أولى روايات ثلاثية تركة العم حسَّاب) | ٢٠١٦ |
| الحب والبارود | ( ديوان شعر ) | ٢٠١٧ |
| بلا جدران | ( رواية ) | ٢٠١٧ |
| ابن غير شرعي | (ثان روايات ثلاثية تركة العم حسَّاب) | ٢٠١٨ |
| الحرف السادس | (رواية) | ٢٠١٨ |
| رحيل المجرة | (ديوان شعر ) | ٢٠١٩ |
| الميراث المفقود | (ثالث روايات ثلاثية تركة العم حسَّاب) | ٢٠١٩ |
| أرض اليورانيوم | ( رواية ) | ٢٠١٩ |
| زئبق وفضة وآخرون | (ديوان شعر) | ٢٠٢٠ |
| جنة الأكاذيب | ( رواية ) | ٢٠٢٠ |

## قيد الطبع

| | | |
|---|---|---|
| بديل عربي | (رواية) | |
| مراسلكم من بلاد العرب | ( ديوان شعر ) | قريبًا بمشيئة الله تعالى |
| دروب السماء - في عشق الله | ( ديوان شعر ) | |
| ألفية القدس | (ألفية شعرية ) | |
| عشرون قصة حب | (ديوان شعر) | |

للتواصل مع الأديب المصري

**خالد الشيباني**

الموقع الرسمي :

**www.shaibany.com**

فيس بوك :

**facebook.com/khaledshaibany**

لترك رسائل وتعليقات :

**khaled_alshaibany@hotmail.com**

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

ج . م . ع
(+٢) ٠١٠٦٥٥٣٤٥٤١
(+٢) ٠١٢٠٨٨٦٨٨٢٦

ببلومانيا للنشر والتوزيع